مصافحة الجدران

مصافحة الجدران

مجموعة قصصية

منى مصطفى

مصافحة الجدران

اسم الكاتبة: منى مصطفى
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: مي نـوّار
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولـى
رقم الإيداع: 25106 /2018
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6610 – 48 – 4

Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017

01030365801

جميع الحقوق محفوظة

إهـــداء

لأمي..

ذات الفيض الحنون الذي اتسع للجميع حتى الرمق الأخير.

لأبي..

الذي علمني عن غير قصدٍ أنه ما من عطاء إلا ومرآة السماء راصدته.

وإلى زوجي الحبيب.

= مقدمة =

- هل موضوع هذه القصص - القصيرة والطويلة - تدور حول الوحدة بمعناها الحقيقي الذي يعني العزلة ؟
أم هي في العمق ما يشغل المرء متأرجحا بين الطبيعة البشرية بتناقضاتها الحيرة ؟
أم هي قضية الحب والتي تختفي خلف أقنعة إنسانية نغيرها جميعا دون أن نعترف بها .. بخداع النفس والآخر ؟

- الحق أنني لا أستطيع الجزم بمثل هذه الأحكام .. لكنني خاطبت جميعها وأنا أتفحص هذه المجموعة للكاتبة "منى مصطفى"

- قد يغريني شيء ما في هذه المجموعة بالبحث عن بعض ملامح مشاركة لكبار أحجموا مثل "يوسف إدريس" أو "يحيى حقي" أو غيرهما . لكنني قد أحسن صنعا حين لا أدعو إلى التجربة بعضويتها
قد لا يتوفر لهذه المجموعة الحرفية التي تميز الكبار في القصة القصيرة وقد أصبت أنواع الكتابة الدرامية - لكنها تنم بصدق واضح في طور التحاك الإدراكات الإبداعية يساعد على تبلورها درجة عالية من الثقافة العامة
- أزعم أنه الطريق مفتوح أمام هذه الكاتبة لتثبت نضج تجربتها الإبداعية المطموحة

يسري الحديدي
١٧ مايو ٢٠١٧

مقدمة
بقلم الكاتب المسرحي والناقد الكبير
يسري الجندي

هل موضوع هذه القصص القصيرة وإحداها طويلة تدور حول الوحدة بمعناها العميق الذي يعيشه البعض؟ أم هي في العمق ما يشغل المرء منا عن الطبيعة البشرية بتناقضاتها الحيرة؟

أم هي قضية الشروهي تتخفى خلف أقنعة إنسانية نعيشها جميعًا دون ان نعترف فيها.. بخداع النفس والآخرين؟

الحق أنني لا أستطيع الجزم بمثل هذه الأحكام.. لكنها خامرتني جميعها وأنا اتفحص هذه المجموعة للكاتبة " منى مصطفى"

قد يغريني شيء ما في هذه المجموعة بالبحث عن بعض ملامح مشاركة كبار أحبهم مثل "يوسف إدريس" أو" يحيي حقي" أو غيرهما، لكني قد أسيء من حيث لا أدري إلى التجربة بعفويتها.

قد لا يتوفر لهذه المجموعة الحرفية التي تميز الكبار في فن القصة القصيرة وهي أصعب أنواع الكتابة الدرامية_ لكنها تتسم بصدق واضح في طور اكتمال الإدارات الإبداعية يساعد على تبلورها درجة عالية من الثقافة العامة.

أزعم أن الطريق مفتوح أمام هذه الكاتبة لتثبت نضج تجربتها الإبداعية.

يسري الجندي
مايو٢٠١٧

شكر وتقدير

للكاتب القدير/ يسري الجندي

شكر وإهداء

للدكتور إبراهيم الجهيني

قد يُضطرُ أحدهم لمصافحة جدران بيته إن غابت الأيدي.

لكنا نضطر جميعًا في وقتٍ ما للتواري خلف جدران غير جدران البيوت. ربما جدران أفكارنا، عاداتنا، مخاوفنا، رؤيتنا لأنفسنا، أو حتى جدران أرحامنا.

لا يهم أين نختبئ، ولا كيف نكمُرُ مكامن ضعفنا. الأهم أن نعلم أن للأخرين مكامن يجب تقدير خصوصيتها، والتماس العذر لهم، بعض التفكير فيما قد يصيبهم جراء كلمة أوفعل تصورناه عابرًا.. أو واجبًا تحت أي مُسمى أبوي أو تربوي.

إن بعض كلمات قد تكشف شيء من ألام النفوس، وتوفر مساحة فهم في سبيل اجتناب أسوأ تأثيرات حركة الفراشة.

وأدعو الله أن أكون قد وُفِقت لشيءٍ من ذلك.

مُصافحة الجدران

الوحدة..

ذلك الإطار الصلب بجوانبه الأربعة المغلقة على بعضها وعليك. بلا بوابات للخروج

أو الإختلاط. ربما يكون إطارًا ذهبيا قلبًا وطلاءً أُتقِنَ بيد الصانع الماهر، أو.. إطارًا خشبيا ردئ الصنعة اكتفى الصبى لتجميله بفرشاة طلاء برونزية.

يرى البعض أنه مادامت قَدَّرًا فالحمد للصانع كونها ذهبية متقنة النقوش، اذ يمكن للوحيد أن يرفل بين جوانبها ماشاء فى النعيم. أما هو فلم ير فارقاً مادامت مؤطرة في كل الأحوال، وهكذا صار له بين التأطير والتقتير أسلوبَ حياة..

عم نبيل

اترُكُ البقال المتلكئ في خدمتي، وأعودُ سيرًا لبيتي بالشارع العشوائي الممتد، والممتدة على جانبيه البنايات المرتفعة، تُطبِق على أنفاس رواده. معظمها مكشوفٌ طوبه الأحمر وأسمنته بلا رداء من أي لون للعِيان. والمُعْتَنى منهم به قد استترت واجهته بلونٍ صارخ، لا يتماشى بأي صورة مع لون البناية الملاصق له. بينما بقيت مواد البناء عارية تمامًا فى مشهد مؤذي للعين من الجوانب والخلفية.

أتحسر على أيام كُنتُ فيها حارس فيلا بحيٍ راقٍ، أُمتع عيني بجمال القصور وأتأمل نقوشها وحدائقها. في زمن فات من قرن مضى، حين كُنْتُ أحيا بين أُناس يفهمون أساليب الحياة، ومناهجها السليمة.

أخطو للبناية التي أسكن بها، وأتساءل.. كيف لسكان العقار المُمهد مدخله بالقاذورات، وقد صارقميئا ككل شئ في زمنهم أن يفهموا مناهج الحياة أو أساليبها.

يلقي أحدهم السلام، أُجيب ولا أزيد. أسمعه من خلف بابه" يظهر السيكورتي فاصل. لا ساوند ولا فايبريشن" يتبعُها بضحكة ساخرة

أُغْلقُ بابي، أضع كيس البقالة على الطاولة الوحيدة في البيت، أجلس على كرسيها الوحيد؛ ليتردد صوت الجار (الساخر بلاسبب) في أذني مرات عديدة.

هؤلاء الحثالة يتخذون من التَنَدُر على جارهم العجوز وسيلة لدفع أوقات فراغهم، عاقبهم الله. إلا محمود الشاب الطيب، يحرص على الإطمئنان

على صحة جاره الوحيد دائمًا، ولا تنساني زوجته بأطباقِها الساخنة. فتوفرلي الإنفاق على بعض الوجبات.

يُكَررُ محمود سؤاله بصيغ مختلفة: لو أعرف أسباب عزوفك عن الزواج ياعم نبيل؟

أضن عليه دومًا بالإجابة، آخبره أنني أكره النظر لنفسي وحيدًا في حمامي، كيف إذن لإنسانة غيري أن تفعل؟

يسألنى عن سبب وحدتي وعزلتي. فأجيبه أن أحدهم لايرغب التعرف بي. لو أرادوا لفعلوا كما يفعل هو وطرقوا بابي.

يحاول إقناعي بتمهيد الطريق للإختلاط بالبعض، فأدفع الفكرة بالصمت.

_اتفقت مع الولاد نخرج يوم الجمعة وقالوا لازم جدو نبيل يكون معَنا، تعال غيّرجو.

اضحك سعادًة باهتمامه وأرفض: ربنا مايحرمني منك يامحمود. انا من سنين وحدودي الحي، البقال أول الشارع والمخبز أخره.

أسعُلُ فتتراقص الإفرازات صخبًا في صدري.

_كفاية زيارتك وانت داخل بالوَنَس على بيتي وقلبي.

أُحاول رفع ياقة القميص حول رقبتي علها تدفئها. يلاحظ البطانية الوحيدة المهترئة في سريري. فيستأذن ويذهب.

يعود بعد يومين، حاملًا معه لحاف حديث لين، بطانية، كنزتين صوفيتين ثقيلتين، وبنطال صوفي سميك. كل شئ جديد، البعض لازالت ورقته معلقة بطرفه. يثير ذلك دهشتي. أعلم أنه رب أسرة متوسط الحال ولايملك أثمان هذه الهدايا. أُمْسك بقلبي، هل يعرض علي الشراء؟

يُطمئنني حين يخبرني أنهم هبة من رجل طيب يملك مصنع للملابس والمفروشات. أشعر تجاهه بإمتنان حقيقي لم أشعر به من قبل تجاه أحد.

اشكره وأطلب منه تبليغ شكري للواهب.

_تقدر تشكره بنفسك.

لم يترك لي فرصة للرفض، اتصل ومد يده بالهاتف. أكره محادثة الغرباء، على مضض قمت بواجبي وشكرت الواهب بكلمات قصيرة.

في ذلك المساء غزت رأسي فكرة غريبة تمامًا عني، أهي عدوى الكرم أصابتني من جاري العزيز؟ أم أنها أفعال القدير بنا؟ في كل الأحوال لا يجب أن أتسرع.

بعد شهرين تقريبًا، فاجأتُ جاري الشاب بطرق بابه للمرة الأولى. اعتذرت على المفاجاة سَلّمْت وجلست ثم قُلت: انت عارف يابني اني بلا أولاد ولا قرايب.

قاطعني: إرتاح، وخُذ نَفَسَك ياعم نبيل.

_نَفَسْي مرتاح .

يبتسم ويقول: شَرَفْت بيت ابنك. تشرب شاي؟

سَعدتُ بعبارته ولم ابتسم. أشرتُ له ليترك لي فرصة لإنهاء الحديث الذي جئت من أجله. فاندهش لسبب لا أعلمه ثم استجاب.

_شوف يابني أنا عندي مبلغ فى البنك...

صَمتُ لحظة وبي رغبة في مراقبة عينيه ولكني لم أفعل.

_ولأني بلا ورثة، قررت أوهبه لك ولأولادك.

هل رأيت على طرف فمه شبح ابتسامة، أم وهم صنعته عيني وقد كادت تبكى ولا تصدق ما أنا مُقبلٌ عليه؟

من طيبة قلبى، وطية جيبى أخرجت لفة نقود كبيرة من فئة المئتين، مددت يدي بها له وقلت: المبلغ مقسوم بالتساوي، نصف لك وللأولاد. والباقي أمانة عندك لساعة نزول أمر الله.

تمتم. أظن انه استعاذ من الموت، أو طلب لي العمر المديد، ولكني كُنتُ شديد التركيز في حديثي أنا حتى أُنهيه، فأكملت فورًا.

_المبلغ يكفي مصاريف الخارجة والدفن. بلا لزوم للعزا، وإلا بِقي الصوان خالي. الباقي ادفعه صدقة على روح عمك نبيل. وادعي لي ربنا يرفعني به درجة.

_أنعم الله عليك بالصحة وطولة العمر ياعم نبيل.

هل اتسعت الابتسامة على فم الشاب أثناء حديثي؟ لم يمد يده ليتناولهم، فحثثته: خد يابني مني.

هل قبضهم بشدة؟ هل نهشهم من بين يدي؟

شكرني وكرر الشكر، نطق بعبارات لم أتبينها. حكى لي عن الواهب حكاية ولكني لا أذكرها. نادى أبناءه ليلقوا علي التحية في أدب ومحبة. قدمت زوجته طبق حلو من أطباقها الشهية. حَمَدْتُ الله أنها لم تَعُد تُقَدِم مشروبات. جلسة عائلية دافئة في ليلة من ليال حياتي الشتوية الطويلة. كُنْتُ لِأستمتع بها وأحيا عليها عُمْرًا جديدًا لولا أنني لم أكن معهم. كنت أحاول إسترجاع وجهه عند تسليمه النقود. هل لاح شبح إبتسامة عليه؟ هل نهش النقود من بين يدي أم تناولها؟

محمود

في غرفة عارية إلا من تمثال قديم _أظن أنه ثمين_ بارتفاع مترين في أحد أركانها، مسنودٌ على الحائط إلى جواره لوحة زيتية قديمة تغير لون إطارها الخشبي وكان مُذهبا يومًا ما. في مواجهة اللوحة المؤطرة يستقر سرير قديم وحيد يغطيه فِراشٌ بال، يجلس عليه عم نبيل العجوز مرتديا ثيابًا لاتتناسب مع الشتاء البارد الذي جفف أوصالنا هذا العام. فَرَدَ على ساقيه بطانية قديمة مهترئة لست أدري كيف تدفئ عظامه النحيلة العجوز ليلًا؟

نتجاذب أطراف الحديث بينما يسعل سعالاً شديداً متحشرجاً؛ فأرثى لحاله. أعرض عليه أن أُعد له كوب ينسون، يرفض ممتنًا. أدرك أنه يكره ولوجي لمطبخه. فأعده له في مطبخي ثم أرسله مع ابني الأكبر.

في اليوم التالي ألْحظُ الكوب كما أُرسِل على حافة إطار النافذة المجاورة للفراش . ظننت في البداية أنه يضن على نفسه بكوب الماء من صنبوره. اتضح انه يكره كل المشروبات حقًا، رغم معاناته من ألام الكُلى طوال الشتاء!

يحيرني أمر ذلك الرجل. أعلم أنه يملك المال ولكنه يضن به على نفسه. صار بينه وبين قبره شبرًا واحدًا، فيما اكتنازه للمال إذن؟ لديه بعض تماثيل ولوحات وتحف قديمة تُقيَم بالمال في زمننا الشحيح. سألته مرة كيف حصل عليهم، فأجابني" في بيوت الباشوات المال بلا عَد، والتجديد مستمر. لما كانوا يتخلصوا من القديم كنت أنا وعمال الفيلا نتلقفهم. ياما رموا، لكن سكني عندهم كان غرفة متر في مترين. المأخوذ يجعلني به ألوص . لما الست الله يرحمها ماتت، بدأت أسأل على شقة ولاقيت مندور السمسار دلني على الحي هنا. اشتريتها وطلعت فيها بالمقسوم قصاد عينيك.

_والسرير.. من عندهم؟

يجيب باعتزاز.

_لاا١. السرير سريري من وقت ما استلمت شغلى. كنت أنام عليه جانب البوابة الكبيرة المنقوشة بتماثيل ملايكة صغيرة. كله راح.. أولادهم هدوا الفيلا وبنوا برج شوه الحي. نحمد ربنا ان فكري هداني لشرا الشقة بعد وفاة الست. كان زماني في الشارع.

شقته مثل شقتي، وملاصقة لها. غرفتان إحداهما فارغة ومغلقة دومًا وصالة ومطبخ وحمام. لَمَّحَ عدة مرات أنه ينوى ترك وصية بممتلكاته لي ولأبنائي. لا أريد إلا الشقة. أهدم الحائط الفاصل بيننا وتصبح شقتي مضمار خيل. أو أبيعهما معًا وبثمنهما أشتري شقة في مكان أفضل وأنظف من الحي العشوائي الفقير الذي نسكنه.

عم نبيل.. ذلك العجوز القرير، الذي يستطيع المرء سحب رقاقة من لحمه، ولا يستطيع سحب ورقة مالية من جيبه.

ففي اليوم التالي لإرسال كوب الينسون. توجهتُ بعد الانتهاء من عملي إلى الحاج (رجب) صاحب مصنع الملابس الذي تتعامل معه شركتنا. رجل طيب وابن بلد. أسعى لمجالسته وأسعد بها. أظنه ايضًا يأنس بصحبتي ويحترم وجهات نظري فى الحياة. العميل الوحيد الذي ينظر لشخصي إلى جانب هيئتي البسيطة كموظف ولا يعاملنى كمدير الحسابات المسئول عن إثبات الحسابات المتبادلة بين مصنعه ومصنعنا.. وفقط. بل يدرك أني قارئ للتاريخ ومُطَّلِع على بعض النظريات الفلسفية وأن لي وجهة نظر مختلفة في أمور الحياة، دون ادعاء، ولا رغبة في الظهور. يسعد بما يفهمه ويحترم مالم يفهمه. حديث قصير في العمل ومُطَوَل في السياسة وأخبار الفن ونسائه. ضحك من قلبه حين تحدثنا عن القَسَّم الشعبي المبتكر لأحدهم في أولى جلسات مجلس الشعب وقال: الرَجِل كسر كل القوانين والقواعد والأصول، ولا كاسر له.

الحاج رجب يتابع أخباركيم كاردشيان ولا يعلم إن كانت ممثلة أم مغنية. يُفاجأ في كل مرة أخبره أنها فى الأساس بطلة برامج واقع.

_واقعة لنا من الجنة

يجيب نفس الاجابة تقريبًا كل مرة، ثم ينسى ولايذكر منها إلا فضائحها ومنحنياتها الناعمة.

_ومالهم ممثلاتنا؟ احلى من كاردشيان.

يتراجع في كرسي مكتبه الجلدى الوثير، ويجيب ضاحكًا: عجايز وفضايحهم صناعى.

أضحك وأناقره: ظهر المستخبي، عرفت سبب رفضك للزواج مرة ثانية.

يستنكر: مرة ثانية! بعد عشرة السنين الطويلة الطيبة مع الحاجة! أبقى ناقص.

غريب الحاج رجب يوحي حديثه بعشقه للنساء، رغم اكتفائه بزيجة واحدة، سُمعته نظيفة تمامًا من ناحية العلاقات النسائية. كما أن نصف دستة الأبناء التي أنجب أخرها منذ فترة قصيرة، في زمن الاكتفاء بطفلين تؤكد انه سليم بلا(نخع)

ومن منا لاتتمثله الغرابة في أحد جوانبه.

أثناء الحديث تطرقتُ لحكاية عم نبيل. الجار العجوز الفقير الذى لايملك غطاء شبه محترم يحميه من برد الشتاء. وهو الذي عمل عقود في قصور الباشوات وكبار البلد، ولكن الزمن لايُبْقي على أحد.

رثى له الرجل وتبرع من مصنعه بما يسره الله له.

حين ذهبت للعجوز بالعطية، رأيت نظرة الارتياب على وجهه، فطمأنته بسرعة أنها هدية من صاحب مصنع ملابس ومفروشات معرفة. لم تفارق

وجهه علامات الدهشة. إلا أنه لم يلقِ سؤالا واحدً. فقط قال: اشكره يابني على كرمه.

_أشكره بنفسك ياعم نبيل.

اتصلت وناولته الهاتف. تلقى الهاتف بوجه من وُضِع إصبعًا في حلقه ثم شكر الحاج على مضض.

أظن أن تلك الليلة خلت من سعال عم نبيل المتحشرج. إذ نام دافئ الصدر والأوصال. ولابد أن البسمة نامت على خد الحاج رجب، حين أسنده إلى يدِه العليا. ونمت أنا أحلُم ببيتٍ أفتح نوافذه فأشم الهواء الصافِ بحرية، دون عفن القُمامة ولا نظرة الجار الكاشفة. وعلى هذا الأمل إستمريت في رعاية الجار العجوز.

فوجئت به بعدها بشهرين يطرق باب بيتى لأولِ مرة. رحبت به وأظهرت له سعادتى بالمفاجأة الحلوة. بكلمات قليلة كالعادة.. امتن لكرمي في التعامل معه. ثم فاجأني بالمفاجأة الأكبر، مادًا يده بحزمة مالية سميكة رأيتُ على سطحها رقم ٢٠٠ فأذهلتني المفاجأة. أخبرني أنها مقسمة قسمين، جزء لي والأخر أمانة معي لمصاريف دفنه إذا وافته المنية في أية لحظة. أَنْسَتْني المفاجاة أن أسأله أي الجزأين لي وأيهم الأمانة ثُم آثرتُ أن أترك ذلك لتقديري طالما أنه لم يذكر. حين غادر وحصيتُ المال اكتشفت أن الجزأين متساويان،

في المال لاتفوت العجوز فوتة.

سهرتُ الليلة وزوجي نفكر في أي وجهة ننفق الجزء الخاص بنا. والوجهات الفاغرة فكيها تطلب الإنفاق كثيرة. آضعه مقدمة لسيارة ترحمني من القفز بين المواصلات للوصول للعمل كل يوم. وتنقذها والأبناء من التعلق بأطرافِ الحافلات للحاق بطابور الصباح في المدرسة دون التعرض لعقاب الناظر الذي

لا يرحم فقر الأطفال ولا يُقَدِر لهم عُذرًا؟ أم أضعهم في شهادات بالبنك ومن أرباحهم ننفق على مصاريف مدرسة خاصة لنرتقي بمستوى الأبناء التعليمي.

_كل المدارس تحت الخمسة ألاف تعليمها زفت، والعيال لايمكن تفلح إلا بالدروس(هذا ما أكدته زوجتي) دروس بدروس، خلهم في مدرستهم ومن الأرباح نصرف على دروسهم. ويكونوا من الأوائل ويصبحوا مهندسين أو دكاترة ويسافروا الخليج ويتنعموا وينعمونا.

_ ويبقى في العمر لما يَكبروا ويتخرجوا ويسافروا الخليج؟

تنظرلي في عتب: اخس عليك. تعيش وتشوف عيالهم وتتنعم في خيرهم.

_ العيال يتنعموا في خير أبوهم ولا هما يَنعموا عليه!

_يوه. حسب من ربنا كارمه ورزقه أوسع. انا وإنت هالكين روحنا عليهم. وابنك الحمدلله حنون وشاطر وشاعِر بنا.

_ابني باقي له ١٠ سنين..١٠ سنين على مايخلص دراسته. اللهُ أعلم وقتها يكون الخليج هو الخليج. وإن لم يكن، وقتها هنصدر عيالنا لأى مخروبة؟ خوفي نرجع لقرون كان تصديرهم لحروب غيرهم.

_سلامٌ قولٌ من رب رحيم. ربنا يحفظهم ويفرحنا بهم. عالم بتعبنا وكسرة أعمارنا عليهم.

(لحظة صمت)

_احسب حساب كسوة الشتا.

_لا، الرفايع تقِل بركة المبلغ.

يتأخر الوقت ولا نتفق على شئ إلا أن ننام لنستطيع الاستيقاظ في موعدنا ولانؤخر الأولاد عن ميعاد الطابور ونعرضهم للعقاب.

في الصباح صليت قبل مغادرة البيت ودعوت لعم نبيل أن يجعلها الله في ميزان حسناته ويعينني على رد جميله. وأوصيت زوجتي ألا تنساه في الغذاء اليوم.

فتحت باب الشقة وسحبت ابنتي الصغيرة من يدها لتخطو فوق العتبة، واستدرت لأجد عم نبيل جالسًا على كرسي أمام بابي.

_عم نبيل! خير؟ ما لك؟

_أبدًا يابني منتظرك.

_اللهم اجعله خير.عيني لك.

_ربنا يحفظ لك نظرك. أصل بعد مامشيت من عندك حبيت أعمل تليفون.

_إتفضل تليفوني ياعم نبيل. اتكلم على راحتك.

_لا يابني انت متصور ان المشكلة عدم وجود تليفون! أبدًا.. الرقم. الرقم فتشت عنه في كل مكان فص ملح وذاب.

_حاضر. أجي افتش لك عليه.

_لا تروح ولاتَجي. أصل اتذكرت اني كنت كاتب الرقم على ورقة ب٢٠٠. انتظرت على بابك أما الصبح يطلع أخد منك الفلوس وأفتش على الرقم براحتي.

_يابن ال.... لعيبة!

زوجة محمود

يعبر الشارع سالكًا طريق عملِه عَدْوًا مُتَجَنَبًا شرارة الغضب المتقدة في عيني. ولكن ذلك يزيد النار اشتعالًا. أُشَّبك أيدي طفليَّ، أتركهما على جانب الشارع ، ثم أركض خلفه.

_قصدك تهرب وأنا محروق دمي!

_ذنبي أنا إنه رَجل بخيل؟

_ذنبك انك مصاحبُه، مُصِر تعطف عليه. ذنبك اني حلمت.

_يبقى ذنبك انتِ.. انك حبستي نفسك بين جدران حلمك.

يتطاير الشرر من عيني ليلسعه، فيتراجع: من غير مشاكل. اعتبري الزيارة والوهبة (يلوح بيديه في الهواء يصفق وينفضهما) كأن لم تكن.

أحاول إخباره أنه هو من حبس نفسه بين جدران الحلم بالشقة، لكنه يزجرني: لنا بيت نتكلم فيه.

_أي بيت؟ ابقى اطلب دليفري. وعَدْي على عم نبيل بوجبة دينر بوكس. الشغالة خارج نطاق الخدمة.

يسحب نفسًا عميقًا كاظمًا غيظه. يشير بيده لابنتنا الصغيرة الباكية على الجهة الأخرى من الطريق. أزغرله في غل ثُم أعودُ لهما.

أقبض أيديهما كُلٌ في جهة. وأُسْرِع الخطى.

_منك لله ياعم نبيل.

يشير منادي الحافلة أن مكانًا خاليًا في الداخل. أقفز بالطفلين، ولا أتلفت حولي للبحث عن ذلك المكان الخالي. أعلمُ سلفًا انه يكذب ليُعَبئ العربة بالوقوف. أُشَبِك أيديهما بالظهر المعدني للمقعد بدلًا من يديَّ. وأقف خلفهما لأسندهما.

_الكذب على لسان الكُل. وقفت على عم نبيل؟

يلتفت لي ابني فأربت كتفه وأبتلع لساني.

ليته لم يفعل. ليته لم يعطنا ثم يسحب عطيته.

ليته لم يمنحنا الأمان الذي جرأنا على الحلم ثم ينتزع منا أمانه مُرفق بأحلامنا.

لم يكن المبلغ عظيمًا. فقط إختصر علينا مسافة ثلاثة، أو أربعة أعوام قادمة.

قبل الوهبة كنا نخطط لمشاريع صغيرة إضافية تستغرق منا زمن معين لنصل للسيارة أوالمدرسة الخاصة. ولكنه أشار لنا أن لا ترهقوا أنفسكم فالطريق مُمَهَدُ بِبساطٍ، ثم سحب البساط من تحت أقدامنا. ولم نخطُ بعد.

لا أسامحه. الآن على الأقل.

أعلمُ أن الرجل يعاني ألامً نفسية شديدة. لم تفُتني نظراته المكسورة. شيءٌ ما خار بداخله منذ زمن فاستسلم للوحدة. في قريتي الريفية، عاشت سيدة وحيدة، مات زوجها دون أن تنجب منه أطفال. خافت حديث الناس في عِرْضِ الأرملة إن هي أكثرت الخروج والزيارات. فآثرت العيش وحيدة كئيبة على أن تطالها الألسُن.

داومت أمي وقليل من قريباتها بالقرية على زيارتها على فترات، تباعدت مع الوقت. لا لانشغالهم فقط، وإنما لأن المرأة استوحشت مع الزمن. قالوا انها استوحشت كأدم في وحدته قبل حواء. قالوا إنها جُنَت من الوحدة وتوقعوا أن تخرج لهم بشعرٍ أهوش لتخيف أبناءهم. قالوا إنها تزوجت من الجان واستغنت به عن البشر. قالوا أن الوحدة خلقت لها ذاكرة وحشية سوداء، لاتذكرها إلا بمساوئ كل من خالطتهم. عندما صحبتُ أمي لزيارتها في مرة لمست الصفة الأخيرة في حديثها. تطابقت عليها تسمية إحدى الجارات

(غراب القرية الناعق الأسود) بجلبابها وطرحتها السوداء، وجهها وأنفها الأصفر المدبب ، حديثها الشاكي الباكي المُتَهِم كالنعيق. نَفَرَ الجميعُ من لقائها. ملأت فراغات حديثهم لفترة ثم نسوها. لولا مرور المرأة التي تقضي لها طلباتها كل صباح، لتعفنت جثتها دون أن يشعر بها أحد.

حكيت لمحمود عنها حين بدأت زياراته للجار العجوز. فوصف حالتها وصف غريب. أخبرني أننا كلنا نواجه فضلات بشرية تضل الطريق في الأجساد فتخرج من الأيادي أوالأفواه. قد نغضب، نثور، ثم ننغمس في صراع الحياةِ اليومي. انغماسنا في هذا الصراع اليومي هو مايُنسينا، فنمضي. عند هذه المرأة توقف الزمن لحظة إغلاق بابها، وحدتها جعلت لها جهاز تلفاز خاص بها يعيد عليها كل ما مضى، فصار كل إنسان في القرية مسئول عن عذابها، كآبتِها، وحدتها، وربما وفاة زوجها! أهلكتها العُزلة ولم يجازف أحدً منكم لإنقاذها.

رأيتُ في عينيه نظرة أسى! آهي من أجل المرأة التى لم يقابلها قط؟

_الله يسامحك ياعم نبيل. مَنَتْني عطيتك بتحقيق حلم زوجي الطيب، إنك توصي لنا بشقتك بعد وفاتك.

نَمتُ أحلم بحمام خاص في غرفتي يحفظ خصوصيتي وزوجي، يحررنا في ليالي الأطفال الساهرة.

منذ زمن لم نسهر نتسامر محمود وأنا كما سهرنا بالأمس. وإن خلا النقاش من مودة. يكفى أنه ناقشني وأخذ بكلامي حين أخبرته عن رأيي فى تغيير مدرسة الأولاد. أعطتني عطية عم نبيل الأمل بتجدد النقاش المتعقل الهادئ. ملأني ذلك ثقة ورضا عن نفسي وعن زوجي لدرجة أن فكرتُ أن أختلس من ساعات العمل ساعة لأمُرَ لشراء رداء نوم جديد، ومن وقت الأبناء ساعة في صالون عواطف للتجميل. خلصني لساعتين من إحساس الدونية الفكرية التي يعاملنى بها دون أن ينطق بكلمة احتقار. تَخَرَجْنا في نفس الكلية. سبقني

بسنوات قليلة. ولكني اكتفيتُ بالدراسة للعمل، وتحصيل شيء من نفقات المعيشة. ولم يتوقف هو عن القراءة والدراسة مع العمل.

يقولُ أني ترس من تروس الحياة. أستعد للصراع ومعايرته أنه لولا مشاركة هذا الترس في مصروف البيت لفُضِحْنا. ولكنه يقطع علَي حتى سُبُل العِراك حين أسأله في تحفز

_قصدك تقلل من شغلي؟

_لاسمح الله. الحياة كما الماكنة تحتاج تروس تدورها، ومهندسين يركبوا التروس بشكل صحيح؛ تقوم الماكنة تدور صح. ومحتاجة مخترعين يرسموا الماكنة ويحددوا وظيفة كل ترس فيها قبل ماتتسلم للمهندس.

بنبرة استهزاء: وانت مهندس.. ولا مخترع؟

_أنا ترس شهك تمام. (يغمز بعينه اليسرى) الفرق إنه ترس نابض.

أتوه في فهمه. أيقصد بكلامه معنى قبيح لفتحِ حوارٍ ساخن؟ أم يحاول إثبات أنه أرقى مني درجة وإن تشابَهنا؟ أشحت نظري عنه، وألتفتُ لطبق السلطة وقد فقدت ثماره كل ألوانها في عيني. ولكني تابعت التقطيع.

ذكرني شيطاني أن الحوارات الساخنة تقدمها له مذيعات الفضائيات. فتغطي ليلتنا السواد. أتابعه وهو يتابع تلك المشاكسة العاطفية ذات الشعر الأسود الناعم، يتأمل تفاصيلها ويعلق لي عليها في وقاحة. يستمع لنقاشاتها في إعجاب، تعلو أنفاسه بصورة مُنَفَرَة حين يعلو حوارها فوق مستوى ضيفها، تبلغ نشوته الذروة حين تصيب بأسئلتها الواعية(كما يصفها) ضيفها في مقتل. كم سئمتُ الفضائيات بكل ما أتت لنا به من نساء محنكات.

_منك لله ياعم نبيل، قَلَبت علي المواجع.

يلتفت لي إبني من جديد، فأزيح وجهه: إتلهي وانت شبه أبوك.

_عند المدرسة يا اسطى. عندك نازلين.

عم نبيل

لم أعُد أرغب في البقاء بين هؤلاء يومًا أخر. لم يعد بينهم من يمنحني الصبر على أذاهم.

أنتظر الجنيه المعدني باقي حسابي عند البقال، فيتأخر طامعًا أن أتركه له، لا أتركه. فيسبني بنظراته، ويتقاعس عن خدمتي في المرات التالية. يلقي أحدهم السلام، أُجيب ولا أزيد. فأسمعه من خلف بابه" إياك تفكر نفسك أحسن منا يا..سيكورتى"

أُغْلقُ بابي وأضع كيس البقالة على الطاولة الوحيدة في البيت، أجلس على كرسيها؛ ليتردد صوت الجار(الحانق بلاسبب) في أُذني مرات عديدة.

أنظرُ إلى صورتي المُعَلَقَة مُلتَصِقَة بإطارٍ مشغولٍ مُذهَب وخلفي بوابة حديدية عظيمة، وقد تَوارَت تحتها الصورة الزيتية الأصلية للإطار.

نعم. قضيت عمري كحارس فيلا، أحرس بوابتها. أستعلم عن الداخل، وأنحني للخارج. حين كنت حارس فيلا الباشا الكبير. أبيت في غرفة على بابها. أستيقظ لأغتسل (لأن النظافة امرٌ وشرط للإستمرار في الوظيفة، وصارت عادة بعد اليوم الأول لي فيها) أرتدي ملابسي التى كَوَيتُها بعناية قبل النوم، ولا أشق الريق إلا بالإفطار الشهي الذى تأمُرُ صاحبة البيت بتقديمه للعاملين عندها؛ مطابقًا للمواصفات الصحية التي يتناولون بها الطعام على سفرتهم. أُلقي نظرة على رغيف الخبز الصغير أمامي، أتحسر على أيام مضت. كانت سيدة كريمة، لم تقصر في حق أحدنا يومًا.

لم يكن بي حاجة للإنفاق من راتبي الشهري شيء. فاعتدت خلال سنوات على الزيارة الشهرية ل(البُسطة). لازالت صورة الموظف الذي تابع معي

رصيدي الخاص بكلتي عينيه_ولا حيلة لدي لمنعه_ جليةٌ فى ذهني. حين كَبُرَ المبلغ، مال من نافذته الصغيرة للأمام وهمس لي: تدخل بهم سحب على شهادات بأرباح؟

_لا.

زادت زاوية ميله محاولًا الاقتراب أكثر دون أن يلفت انتباه أحد: ممكن تحولهم دولارات. الدولار واقع من يومين. بعد فترة يَعْلَى، تفكهم محلي وإنت الرابح.

وزاد همسه مضيفًا: أعرف واحد يكرمك وقت الفك.

_شكرًا.

ضَيَق عينيه ورشقهم في عينى مباشرةً

_ مطلوب تملأ خانة الوظيفة؟

_ اكتب حارس فيلا.

فى دهشة كبيرة: بواب؟

_حارس فيلا لموظف كبير فى الدولة.

_يعني بواب.

_لو هيئتي هيئة بواب أبقى بواب. الإيصال لو تسمح.

أنْتَهي واستديرُ فأسمعه: عارف فيلم البيه البواب؟ (موضحًا) اتعرض من كام يوم، فيلم عبقري.

لا أدري حتى الأن آقالها لي أم لأحد زملائه. أكملت طريقي دون التفات. إلا أنها لازالت تشغلني.

هل كان يسخر من وظيفتي؟ أم يحسدني عليها؟ هل عَلِمَ أنني لم أتلق تأنيب واحد من أصحاب العمل منذ استلمته شابًا؟ هل عَلِمَ أن الله مُقَسِم

الأرزاق والأعمال في الحياة؟ هل كان مؤمنًا أصلاً؟ لايبدو لي كذلك. لا يحلم أن يطأ بقدمه مكانًا كالذي عملت به. ولا أن يرى علية القوم الذين مروا بي.

لِمَ أَصَر على نُصحي وأنا لا أعرفه! هل كان علي التفكير في عرضه؟

_ وكان يخطر ببالي وقتها أفكر فيه؟

نطقتُ بها وحيدا فلم تُجبني الجدران. فَتَحْتُ كيس البقالة أخرجتُ الجُبن والخبز.

_أكلي وشربي وسكني كلهم كانوا متوفرين مجاني كل يوم طول السنة.

وضعت لقمة لفمي عله يكتم ذكرياتي المُسترسَلة دومًا في ذهني بلا توقف ولا يفضحها للجدران. ولكنه لم يفعل، يحتاج اللعين أحيانًا للثرثرة.

_ كُنت أقول مصيري في يوم أعيش بهم وأتهنى.

تناثرت الفُتات من فمي مع أحرف الشين. فقررت إغلاقه والمعدة أولىَ بالفُتات.

اعتادت اليد الإمساك وانشغل الخيالُ بالنظر لمستقبل الرصيد بعد كُل إضافة.

فتعالى المبلغ. صار ضخمًا على رجل بسيط مثلي. لم أستكثره ولم أسمح لنفسي بالنهب منه.

حتى مَرِضَت السيدة بالمرض الخبيث.

_سمعت إنها ماتت موت رحيم.

أكدت لي ذلك عاملة المطبخ ذات الوجه المكتنز، إذ تسرب لها الحديث الدائر بين المعزين. ولما سألتها عن المعنى قالت: يظهر الأدوية في مستشفيات اوروبا تقدر تخفف أشد وجع، فيها رحمة يعني.. غير عندنا.

أجبتها في حزن: في الآخر ماتت.

_يعني إنت مخلل! المهم إنها عمرها ما حست بجوع ولا ألم حتى مع أصعب مرض.

رَدَّدْتُها في تقطيب : ادعي لها بالرحمة. واحمدي ربنا على نعمة الصحة.

_الله يرحمها(صمتت لحظة ثم قالت) ولادها متأمنين حتى بعد موتها. سابت لهم مال يكفيهم عُمر بطوله.

نَفَرْتُ من حديثها، فأثرتُ الصمت، لتصمت أيضًا وتذهب.

لم تفعل بل أكملت بلهجتها العشوائية: والبيه كلها شهور ويقع على موزَّة حلوة تملي عليه البيت ويملي لها جيوبها.

_راسي مصدع . ادخُل أشوف أسبرينة.

مدت يدها بسرعة في ملابسها " خُد يا اخويا، دايمًا معايا. والنبي انت الطيب فى الفيلا (دى)

_لا شكرا. عن إذنك.

كانت المرة الأولى والأخيرة التي يطول حديثي معها منذ استَلَمَت عملها بالفيلا. لم أطق النظر إليها بعدها. إلى أن أمسكت عاملة النظافة الشابة بتلابيبها ذات يوم صارخة: تعالي هنا! رايحة جاية تشكي لنا من غدر الزمن! ما إنتِ لو تتقي ربنا في لقمة عيشك كان يبارك فيها لعيالك.

حاولت عاملة المطبخ الإفلات ولكنها لم تستطع، فاستغاثت بمنسق الحديقة اذ كان الأقرب لها" تعال الحقني يا خويا. والنبي انت الطيب فى الفيلا (دى)" فتَحَلَق كل الطيبين بالبيت حولهما.

واستحقت عاملة المطبخ (الشاكية من غدر الزمان) الضرب بعدما استغلت وفاة السيدة أسوء استغلال؛ فغياب الرقابة اختبار الأمانة. بدأت تدخر من وجباتنا لبيتها وأبنائها، تقلص حجم الوجبة واستمر في التقلص، حتى جفت المعدة.

بعد المعركة.. توقفت الوجبات الشهية الساخنة. أوقفها الباشا تماما عِقابًا للجميع على الفوضى التي سببتها العاملتان.

هنا صارت المعدة تنهب مما هو قادم للإدخار. وعلِمْتُ أنه علي العودة للأطعمة الشعبية، للحفاظ على مُعَدَلِ تنامي مدخراتي. علمتُ أيضًا أنها مرحلة جديدة في حياتي، لا أمان فيها ويجب أخذ الاحتياط من أجل القادم. فاشتريت هذه الشقة الكبيرة. " نحمده"

أتململ على الكرسى الوحيد في بيتى وأتذكر.

حين كنت حارس على فيلا الباشوات.. مع عادة النظافة وحسن المظهر اللذين أمرتنا بهما السيدة رحمة الله عليها، كان الصمت والكتمان عادتين أخرتين.

لم يكن مسموحًا لي بالإختلاط بحراس الفيلل المجاورة. ولا مسموحًا لمدبرة المنزل بالثرثرة مع مثيلاتها، حتى منسق الحديقة، لم يكن مسموحًا لنا أبدا الحديث معه، وهو القائم بأعمال الحدائق المجاورة في نفس الوقت. عَشِقَتْ الأسوار العالية التي سَوَرَتْ نفسها بها عقود، حتى واراها التراب.

وهكذا إضطُررتُ لاتخاذِ الصمت صاحب، حافظتُ عليه، فحفظ لي لقمة عيشي. استعنت عليه بقراءة الجرائد البائتة بعد انتهاء الباشا منها لدفعِ ساعات الفراغ. حتى قَلَتْ مفرداتي الكلامية. وصار حديثي السلام ورده فقط، وسكان العقار الحمقى يلومونني على إنعزالي وتقتيري!

ـ مِن عاش عيشتي يجي يلومني.

عادت الفُتاتُ للتناثر في حنق فوضعت كفي على فمي بسرعة لأكتمه.

كلهم ذاق أول ما ذاق بياض الحياة، وشعر دفئها حين لُقِمَ ثدي أُمه مع أَوَلِ صرخة. ولكنني لم أفعل. من منهم فقد أبيه ومرشده في سن مبكرة، ليقع

تحت رحمة سيدة القصر التي فرضت الصمت على الجميع مقابل بضع قروش قبضهم عمه ثم اختفى تمامًا من حياته؟

من منهم وحين لامسته سنون النضج بال أمام رفاقه، فسخروا من حجم عورته وعدم ختانها. ولأنه قضى عمره خَجِلًا من السؤال، صارت لحظات التبول المتكررة يوميًا تُذكره بالسخرية اللاذعة؛ وهي أكثر لحظات الحياة مقتًا على نفسه.

تلك اللحظة اللعينة كانت سببًا في وحدتي وانقطاعي، خجلي ومقتي لنفسي، مقت الآخرين لي، هروبي من الحياة عقود داخل غرفة ضيقة بجوار بوابة عالية لا تسمح أبدًا بالاختلاط. ثُم اللحظات الأخرى التي لا تكتفي باستخلاص سائلي بل تستخلص معه دموعي؛ إذ تذكرني أن بقايا رَجُل نصف بلا كُل لا زالت بداخلي.

تسحبني أحيانًا أيادِ الحنين الرقيقة، فتصحبني في رحلات طويلة.. لأيامٍ كُنْتُ فيها طِفْلًا صغيرًا متفتح الروحِ بين حنايا أبيه، يرافقه في عمله، يساعده في إعداد الطعام، يشكر الخالة الشابة على طبق البامية باللحمة، الذي توقف تمامًا بعد زواجها. يثور مع ثورة أبيه على عمه وقد حذر الخاطب من طبق البامية الصاعد لأعلى قبل الاقتران بالمرأة. يسمع صوت السيدة المتسرب من بئر السلم تقسم في بيتها أن فعلها رحمةً بصحة الصغير وصيانة لعشرة الأم المتوفاة. يُقسم العم الواشي انه أراد إفساد الزيجة ليخلو الجو للأب فيتلقى صفعة من الأخ الأكبر، يلقنه درسًا في معنى الرجولة وصيانة العشرة. ثم يعود ليُطيب خاطر أخيه وعمي. عمي الذي أواه أبي في بيته بعدما استولت عمتي الكبيرة على حُجة بيت جدي لتبيعه دون سابق إنذار. ثُم مُخَلِصة ذمتها بتوزيع الأنصاب قبل سفرها مع زوجها. عمي الذي باع أبي من أجله مصاغ والدتي ليبدأ مشروعه الخاص ويستقر. قال لي أبي أن الخال والد وأن العم والد.

أوصاني والدي على فراش مرضه بالاطمئنان وإن قُبِض إذ تركني لعمٍ وفي! وكانت كذبات من فمٍ لا يكذب. كان أبًا طيبًا، وأخًا طيبًا. ربما أطيب من أن يكون بشرًا. ربما لو أخبرتُه قبل موتِه بسخرية الرفاق لَدَلَني على مايجب فعله. ربما لو إحتضنني عمي لمرةٍ واحدة بعد وفاة والدي؛ لسألته ودلني على الصواب. ولكنه لم يفعل. لم يفعلها أحد أبدًا أبدًا منذ توفي أبي. تطفر الدموع من عيني ويهتز جسدي. تقبض أصابعي على رغيف الخبز تعتصره. فأفيق، ألفه بإحكام في كيس للوجبة القادمة، أقف وأنحني للأيام التي تحبو فتطبع الماضي كله في رأسي، ولا يضيع منه شيئا.

أترك الطاولة وأتجه لغسل يدي، فأسمع من نافذة الحمام صوت أحدهم: الفوطة يابن ال...

هؤلاء الحثالة يتخذون من النميمة على جارهم العجوز وسيلة لدفع أوقات فراغهم، عاقبهم الله. إلا محمود الشاب الطيب الذي كان يحرص على الاطمئنان على صحة جاره الوحيد دائمًا. وصارت تنساني زوجته بأطباقها الساخنة. لم تسامحني يامحمود على استعادة وهبتي. أيحقُ لي طلب السماح؟ في فراشي تدثرتُ باللحافِ والبطانية الجديدين، ناجيتُ ولدي من غير صُلبي.

_لك حق يابني. انت كنت تعرف إن عمتي غدرت بعمي! وعمي غدر بأبويا وبي؟ أبدًا عمري ماقلت. كنت تعرف اني خايف أمرض وأتلطم على قرش اتعالج به؟ عمري مافضفضت. سامحني يابني. والنبي إنت هديته الوحيدة ليَ. خايف أخبط على بابك تكسفني. أصْلي عمي كان دايمًا يكسفني.

للسماء نظرت: اجعله يسامحني، اجعله يرجع يخَبَط على بابي ويسأل عليَ. إنت عالم إني بلاحيلة ترجعه. عمرك ما جعلت في حياتي ناس لاجل أملك الحيل. لكن أنا عارف إنك تقدر ترجعه.. لو رايد ترجعه.

ناجيته حتى ابتلت وسادتي تحت رأسي وجاءت الغفوة فاستسلمت.

محمود

بعد يوم عمل مرهق، أستقبل طريق عودة أكثر إرهاقًا. أضطر فيه لركوب مواصلتين أو ثلاث كل يوم بين العملِ والبيت والعكس. أتخذ مكاني في الوسيلة الأخيرة (التُمْنَة السوزوكى) للوصول للبيت. أركن رأسي على زجاجها المغلق بلا إمكانية لفتحه لعدم توفر النوافذ فى الصف الثالث والأخير.

أرقب السيارات المتراصة في انتظار أن ينفتح الطريق للمرور فيطول الانتظار. لم تعد الصعوبة في إيجاد المواصلة. وإنما في الوصول بها إلى مقصدِك. كل طرق الوصول صعبة. طرق إدراك الذات في عالم من المغانط المُقولَبَة فِكريًا صعبة. طرق تحقيق الذات بعد إدراكها وعِرة ولا يُنجيك من وعورتها الكفاءة، لايُنجيك من وعورتِها إلا المُداهنة والوسائط وربما مسحة دناءة. طرق العلم صعبة. طرق الحصول على وظيفة صعبة. طرق الحفاظ عليها صعبة. طرق الحفاظ على النوعِ بالصور التقليدية المُعتادة صعبة.. طرق تربية الأبناء تربية أدمية دون ألام نقص واضطرابات نفسية.. صعبة. طرق الحفاظ على براءتِهم أطول فترةٍ ممكنة في زمن السماواتِ المفتوحة.. صعبة.

وششششش

أمن سبيل لهذا الصوتِ ليعلن إنقطاع الإرسال بالرأسِ، أوليعيدَه لفِكْرِه الطفولي الخالي البرئ!

" الريموت تحت ايدك، اقفله"

" أقفله! بساطة الإلقاء لا تتفق وعواقب المُقترَح. خصوصًا على أمثالِك. ولوقفلناه، تتحرموا من ألافات تصرفوها في بيوت الازياء ومراكز التجميل! ملايين العربيات الألمانى واليابانى. تمنعكم سرعتها وحاجز زجاجي (متفيم) عن

إنكُم تلمحوا ملمح واحد من وجوه وظيفتكم تكلموهم وتتكلمواعليهم. تضحكوا لهم أو.. تضحكوا عليهم، تكبروهم لأجل تكبروا بِهم ثم عليهم"

" تتصور يضايقنا الحقد الطبقي في عيون أمثالك! "

أنظريساري فيصدمنى وجهُها المُجعَد الملطخ بالأصباغ مبتسمًا في غرور: انتِ هي؟

" لا. أنا الحقيقة"

" أى حقيقة! حقدنا اه. على الأغنى لأ. حقدنا على المتاجرين بنا وبأحلامنا. على كل من اتكلم باسمنا قبل ما يسمعنا"

" كفاية فلسفة. (ترفع حاجبًا واثقًا متقوسًا ليؤطِر نظرة لاذعة) إلا لو كنت دارسها"

أتراجع فتستأسد عَلَى روحى: اقفل التليفزيون ورَوِّقْ بالك ورَوقْنا.

" والنت؟ والفيس بوك، وتويتر، والمينشن، والأصدقاء"

" لأمثالك لأ. لناس فهموها صح. فهموا إنها بالأساس وسائل تسلية (تتحرك بتأفف) وسع لي المكان، أخرتني عن البرنامج. اف! ريحتكم في غاية السوء"

أجذب يدها لتلتفت، أقفز في عينيها: وسائل تسلية، وتوعية، وتوجيه.

أشعر بالنصر، أنتظر ردة فعلها، ولكنها تتلاشى أمامي. يتلاشى خلف هالة حضورها الجميع. وأبقى وحيدًا في السيارة الصغيرة جدًا كلعبة في يد طفلتي؛ ترفعها لأعلى، تنظرلي بعين واحدة من خلال زجاج النافذة.

_تعال نسافر الخليج يا بابا.

تضع السيارة في صف السيارات الملونة الخاصة بأخيها. أناديها لتخرجني، ولكني لا أرى إلا قدمها الضخمة تغادر الغرفة.

ضاع حُلم دراسة الفلسفة واكتظ وقتي بالعمل واللهاث لتحقيق طلبات البيت والأبناء، الذين لن يُدركوا أبدًا كم كَدحنا من أجلِهم. تبًا للفكر والفلسفة.

" وماله! مادامت فلسفتك على نفسك. اتفلسف على راحتك"

ألتفت إلى يميني فأراه

" حاج رجب! كيف أحوالك ياحاج"

" في نعمة من ربي وله الحمد"

" أخر شيء أتصوره أقابلك في التُمْنَة! "

" دايمًا تشغِل بالك"

" لأني سألت"

" " لأنك شاغل فكرك بالمستقبل .. طول الوقت. أتركها للمولى يدبرها

" ونعم بالله"

" أدِ عملك وآمِن بكلام ربنا (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عمَلا)

كنتُ أهُزُ رأسي في هدوء، حين قال: وجدد نيتك.

إلتفتُ له، فأشار للسائق: أنا نازل هنا.

" نوَرْت التُمْنَة ياحاج"

أشار في سبيله للنزول دون التفات: سَلَّم لي على عم نبيل.

أتوه، أغرق بين حسابات وأرقام، أوراق مالية من فئة المئتين جنيه.

أسمع صوت ينادي

_يا استاذ يا أخينا...

انتبه محمود.

_وصلنا؟

_وصلنا الميدان.. الموقف.

يبدو أنني غفوت خلال الطريق. أترك السيارة الصغيرة، أحاول التركيز فيما أُريد فلا أقبضه. تقودُني قدماي بالاعتياد لبيتي. بينما العقلُ شبه نائم. أصعدُ الدَرَّج، أمُرُ بشقةِ عم نبيل قبلَ شقتي. أجدُني ألصقُ أُذُني لأتنصت على الباب.. لا صوت هُنالك. اختفى عم نبيل، ولِعدةِ أيام لم أطرقْ بابَه بعدما تسبب في شجار كبير بيني وبين زوجتي. لم نتصالح بعد لأُزيد الطينَ بِلَة. اقررُ المُضيَ لبيتي. كعادتي أُعاندُ قراري، وأضغط جرس عم نبيل. لامجيب. ضغطة أخرى وإنتظار. لا مجيب.

_أسترها يارب.

أتجه لبيتي أدير المفتاح في الباب. تركُضُ نحوي الصغيرة، أعطها سكاكرها المفضلة. أُلقي السلام فتجيب زوجتي من تحت الضرس.

_ أخوكِ عند الجيران؟

_لأ، نام يا بابا.

_أكل؟

_ أكل ونام من زمان.

تُجهز لي زوجتي الغداء، تحتفظ بعادة الجلوس إلى جواري حتى الانتهاء منه، وتتخلى عن عادتها في المسامرة لتوافيني بأخبار البيت، وأخبار الأهلِ والجيران؛ بعدما استقت أخبارهم جميعًا من وسائل التواصل الاجتماعي. أنتقي البعض في رأسي، أبادر بالسؤال عنهم فردًا فرد، تجيب باقتضاب حتى أصِل لأبيها العجوز، قُرة عينها. أُصَرِحُ لها عن رغبتي في زيارته، إذ فاتتني زيارة الأسبوع الماضي معها والأولاد بسبب العمل. أبدأ في شرح أهمية الاهتمام بالعجائز لأن الله أوصانا بكبارِ السنِ، ولأننا سنصير يومًا ما مثلهم. لم ينطلِ عليها الحديث، ضَيَقَت حدقتيها دون عينيها كالزواحف. أحفظ هذه النظرة وأكرهها.

أنهيتُ غِذائي وتعللتُ بالذهابِ للمكتبة لجلب الأدوات الهندسية التي نسيتُ جلبها لابني الأكبر، وغادرت.

بعد المكتبة مررتُ بالبقال، وسألته إن كان قد رأى عم نبيل اليوم. فأجاب بتلكُئه وبروده المعتادين سواء في الرد أو الاستجابة لطلبات الزبائن.

_لا يا أ. محمود، والله ماشفته من يومين. خير؟

_خير ان شاء الله.

_ابقى طمنا، ها!

أعود لبنايتي مُتخذ القرارلئن لم يُجب لأكسرن الباب. إن غضب أصلحه لَهْ على نفقتي. أعلم أن في ذلك ترضية كافية له.

ضغطتُ الجرس من جديد. مرتين وثلاث. انفتح الباب المجاور.

_يعنى مُصِريامحمود!

لم أُعِرها انتباهًا، ألصقتُ سبابتي بجرس باب عم نبيل.

لا مجيب.

طرقت الباب المقابل، ففتح سعيد جارنا الضخم. سألتُ اللهَ أن يكون في وعيه وألا يكون (معلي المزاج).

_سعيد، انت فايق؟

ضحك كعادته وأجاب: فايق وأقدر أناقشك ولا افلاتون.

تسقط الحروف وتتبدل على لسانه منذ سنوات لكثرة وطول ماتناول من مخدرات. كل الجيران يعرفون أنه في غير وعيه معظم الوقت لذا لايؤاخذه أحد على أقواله، حتى ابنه وزوجته وهما ممسحة بذاءة لسانه.

ومع ذلك لم أملك خيارات أخرى. حكيت له وطلبت منه أن يساعدني، لم يتأخر، ولم يحتج باب عم نبيل لأكثرِ من دفعتين من كتف سعيد العريض لينفتح.

إنني وحيد.. أريد جليسًا
عجوز أريد سندًا، أو مسندًا
مسافر أريد مودعًا، أو مرحبًا
ملهوف أريد غوثا
شاحب أريد لونًا
...
إننى متعطش للحياة
تعطش القاتل للدم.
رباعيات الخيام
لمحمد الماغوط

تمت

لوحٌ فخاري

من كان يظن أن سامي، خريج كلية الأداب، ابن الأستاذ الجامعي، وباحثة الأثار، تقوده قدماه لمقرات الدجالين!

نعم قد فعل، ومست قدماه الطريق. على سبيل التجربة، على سبيل الفضول، أو ربما هي حقًا محاولة يائسة للشفاء، ولكن ما حدث كان أكبر من كل ما فكر فيه سامي لحظة خوض التجربة.

اعترضت والدته طريقه، بصوتها البعيد الهادئ حفاظًا على اللياقة، والتهذيب. تداخل صوتُها مع صوت أبيه الحانق دومًا. ثم طمس صوتهما معًا نفير الحافلة الذي نبهه، أن لا أحد يهتم لأين ومع من يذهب. فقط عليه الانتباه للطريق لكي لا يجلب المصائب للأبرياء.

وما أحلام اليقظة إلا ومضات، تتالى موجات الحياة اليومية لإغراقها تحت عين النهار، ثم تنحسر تلك الموجات أمام حلمه المتكرر، الذي ينفرد به ليلًا، فيخطف روحه لظلمة طريق، لايضيئه إلا هلال خافت، خَبَّأ ضعفه خلف بعض السحب.

وطفلٌ.. يجلس في الظلام خلف ظل والدته، التي تحاول النهوض، تُثقلها حقيبة تحمل أغراضَ الطفلِ على ظهرها. تُلقِي بالحقيبة جانبًا ليلتقطها الصغير.

تتحرر من حملها وتبدأ في الركض، خفيفة، طائرة.. تتعالى دقات قدميها مع ازدياد سرعتها.

يركض خلفها الطفل بجِمْلِه المولودِ ضخمًا، يُطلِق عِدة نداءات ثابتة. فى التفاتة وحيدة، سريعة من الأُم، يسقُطُ عنها لوحٌ فخاري صغير. يلتقطه ويتوقف؛ لتتضاءل صورة الأم الراكضة لبعيد.

تحَسَسَت يد سامي محتوى بعينه في حقيبته المعلقة على كتفه، لحظة وصوله لمحل الشيخ الراقي متأخرًا ساعة، أو أقل قليلًا عن الميعاد المحدد.

" لا داعي للعجلة، من سيقصد بركات الدجال غيرك في شهر رمضان "

نطقت بها نفسه فى محاولة لتهدئة إرتباكه البادي لحظة ولوجه باب الشيخ ليُفاجأ بجموع المنتظرين.

للجالس على المكتب الصغير فى الركن توجه: الشيخ موجود؟

_ميعادك؟

_متأخر عن ميعادى.

_تنتظر للآخر.

أشار له سامى تجاه الباب: ممكن كلمة.

بنظرة سريعة قَيَّم الزائر بساعته، وجهازه المحمول الثمينين، من خلف مكتبه مسح عيون المنتظرين، ثم همس له بصوتٍ خافت: اسبقني عند السلم الطالع.

دقائق وكان في الخارج مطوية في جيب قميصه ورقة مالية ثمينة، قائدًا سامي لبابٍ خلفي ينفتح على غرفة الشيخ مباشرةً.

في الغرفة استقبل سامي مكتب أرابيسك عريض، خلفه مقعد أرابيسك مُحَلى بالصدف، تعلوه صورة كبيرة للشيخ (الشاب) بنظرة متحدية. هي نفس الصورة المعلقة في مدخل الشارع بعرضه لتَدُلَ المريدين على موقع الدجال.

بجوار المكتب، وقف صاحب الصورة أمام مكتبة ذات أرففٍ عديدة، تكتظ بالكتب القديمة، أكثرها مُغلفًا بِأغلفة جلدية سميكة ومُذَهَبَة، ثم الكثير من القنينات المُلوَنة. كان الشيخ ممسكًا بقنينة، ووشاحٍ قطني طويل، تركه ليغلق القنينة المكشوفة، حين ألقى سامي السلام، واتخذ مكانه على الأريكة المواجهة للمكتب.

سأله الشيخ الذي جلس ليشغل حيزًا كبيرًا من كرسيه المزخرف: خير؟

سامي: حلم متكرر، خلصني منه.

_ إحكِ ؟

_ لازم احكي؟ كارهه.. وكاره الكلام عنه.

_ فيه أفاعي.. حيات.. حشرات؟

_ لأ.

_فيه حبل، عقدة، ضلمه؟

_الحلم كله ضلام، على ضوء قمر ضعيف، يادوب يسمح لي أميز خيال.

_إنسان؟

تردد سامى ثم مط شفتيه وأجاب: هيئة إنسان.

_مواظب على الصلاة؟

_أحيانًا.

_اسمك؟

_سامي.

_تصلي على رسول الله يا سامي؟

فهِمَ فابتسم وأجاب: عليه الصلاة والسلام.

لم يَرُدْ الشيخ الابتسامة بل حدق في عيني سامي يقرأهما، ثم قال: لازم تصلي يا سامي عشان العلاج يجيب نتيجة.

_أى علاج ؟

_متوضي؟

_لأ.

هز الشيخ رأسه فى أسف: طيب تعال، اتنقل أقعد هنا.

وقف، وأشار إشارته الأولى إلى الأريكة الأصغر المجاورة للمكتبة ذات القنينات، لكن سامي لم يستجب.

حاول الشيخ اختراق عينيه ثم قرر: إنت مخبي حاجة.

اهتز سامي ولم يجب.

عاد الشيخ لمقعدِه ولم ينطق، مد سامي يده في حقيبته الجلدية، وأخرج لوحًا فخاريًا صغيرًا، قدمه للشيخ.

تناول الشيخ اللوح الفخاري، قَلَّبَه بين يديه ثم نظر لسامي مُتسائلًا.

_الحلم بدأ من يوم ما اللوح وصلني.

_ وصلك من زمان؟

_من سنين طويلة.

قَلَبَه بين يديه من جديد: ومصدره؟

_واحد معرفة طلب مني أحافظ له عليه.

دقق الشيخ النظر في اللوح، حاول قراءة المكتوب عليه، بادره سامي: المنقوش كتابة أكدية.

ضيق الشيخ عينيه، ثم تقدم برأسه وكتفيه نحو سامي فاحتل جذعه نصف المكتب ليسأل: تعرف المكتوب عليها؟

هزَّ سامي رأسه بالإيجاب ثُم قال: الموجود بذاتِه لذاتِه، الحاكم للاشئ.

انتفض الشيخ، سمَّى وحوقل.

_من قراها لك؟

_أنا دارس لغات ميتة.

أشاح بوجهه في غضب: مالك إنت وما للأموات؟

ابتسم الشاب المُتعَلِم رُغمًا عنه: كلنا أموات.

_مُحبط و الموت شاغل بالك.

أجاب سؤاله بسؤال: تعرف حاجة عن الموجود بذاتِه لذاتِه؟

_سبحانه الخالق الوهاب.

_والحاكم للاشئ؟

_خلط شيطاني بين صفات الله وصفات الشيطان. الله يعينا على فكها.

الشاب: نفكها؟

الشيخ: أه.. بلوى وجلبتها لروحك ولازم نفكها.

بأسف أجابه: لو ينفع كنت أرُدها لصاحبها.

لاحت على وجه الشيخ بسمة ساخرة فرفع حاجبًا: لو ينفع!

هزها في يده يقيس وزنها واسترسل: اتربطت بها خلاص.

_ وتقدرتفك الربط؟

أجاب بما لايتماشى مع الابتسامة الساخرة الملتصقة بالوجه: استعنا عليها بالله.

كرر الشيخ إشارته بالانتقال إلى الأريكة المجاورة للمكتبة. فاستجاب الشاب في الثانية.

طلب منه القبض على الحجربكل قوته، وعدم تركه تحت أي ظرف. لمس رأس سامي بيده، وبدأ في تلاوة أيات من القرأن.

توقف فجأة عن التلاوة: تصديقك وإيمانك جزء من العلاج . أُترُك نفسك مع الله.

رد عليه سامي بنظرة خاوية.

الشيخ: غمض عينيك واستمِع لكلامه، كلامه فيه الشفا.

التقط الوشاح القطني، ووضعه فوق كتفي سامي المنتصبين تحفزًا، ربتهما مُطَمْئنًا ليرتخيا.

بدأ في تلاوة الآيات من جديد بصوتٍ خافت، أخذ في الارتفاع شيئًا فشيئًا، أغمض سامي عينيه. فتموجت الآيات المقروءة، مطبوعة من المصحف تحت جفنيه. آيات لا يَذْكُر متى كانت أخر مرة قرأها من الكتاب على رسمها وتشكيلها بذلك الرسم. انمحت الأيات من أمامه ليظهر ظِل والدته، يشير ظل إصبعها يؤنبه ثم تركض. لم يدرِ سببًا لشعوره بالانفصال رغم صوت الشيخ المرتفع لدرجة الإزعاج.

ربما لأنه لم يعد يبالي بشيء، ربما هي الفرصة الأخيرة للاسترخاء، طالما مع الله.

شعر بالشيخ يلف بصوتِه حول رأسَه يطوقه، مرة، واثنتين، وثلاث ثم كان الإطباق الأخير على الرقبة.

قاوم، حاول فك الوشاح المعتصر لرقبته بيديه، دفع الراقي، لكن الأنفاس المتبقية لم تسعفه في الدفاع عن نفسه.

جحظت عيناه لتلتقط صورة أخيرة للشيخ يشُدُ الوشاح على رقبته بنظرة متحدية، كتلك التي رآها في الصورة المُعَلَّقَة له عند مدخل الشارع بعرض كوبري المشاه تُعلِن للقاصي والداني عن محل الدجال وعمله. ثم اختفى كل شئ.

(2)

موكب من نساء ورجال في ملابس ملونة، حُلي كثيرة، أغطية رؤوس متنوعة. يتبادلون الحلوى والبسمات. يترنم بعضهم بلا توقف، أو كلهم أحيانًا بلغة غريبة، يفهم سامي أغلب كلماتها التي يتخللها تموز وعشتار، الخصب والجدب.

إزدادت نيران المصابيح اشتعالًا، وترددت(الأكيتو)على الأفواه.

أمامه رأى صرحًا واسعًا غير مغطى، مُحاط بالحقول والمزارع، التي خصبها تموز لحظة خروجه الربيعي من العالم السفلي.

انساب الموكب إلى الصرح، أو الأكيتو كما أسموه.

بدأ رأسه في استيعاب الحدث. احتفالات رأس السنة البابلية القديمة.

وقف بين الحشد حول مسرح حجري مُعَد ببراعة.

صعد أحدهم إلى المسرح ليهنئ الحضور بالعيد، ويبارك الملك الإله زواجه الجديد، متمنيًا له أن تطرح زيجته، للشعب البابلي، جلجامش جديد.

ثم رُفِع الستار عن لوحٍ فخاري ضخم مُثبَت كجدار في خلفية المسرح.

محفورٌ على اللوح نفس الكلمات المحفورة على لوحه الصغير بنفس النقش المسماري.

"الموجود بذاته لذاته، الحاكم للاشئ،،

بحث عن حقيبته فلم يجدها، حين صخب الجمهور: آبسو

صاح الواقف على المسرح الذى اتضح أنه راوي العرض، أو سارد الملحمة: أصبتم. وها أنتم مع الإينوما إيليش(ملحمة التكوين الأولى)[1]

ترنم بالملحمة بصوت أوبرالي عميق

---

[1] مُغامرة العقل الأولى_دراسة في الأسطورة السورية وأرض الرافدين(فراس السواح) ص٥١

" عندما في الأعالي لم يكن هناك سماء
وفي الأسفل لم يكن هناك أرض
لم يكن من الألهة سوى آبسو أبوهم،
وممو، وتعامة التي حملت بهم جميعًا،،

دندن البعض معه الترنيمة، حتى ظهرت الشخصيات الثلاث الأولى آبسو، ممو، وتعامة. يتبادلون التلويح بأطراف أقمشة شيفونية خفيفة زرقاء علامة على أنهم كانوا يمزجون مياههم معًا، يستمرون في المزج. لحين يظهر الملل على وجوه واجساد الممثلين. هنا كان قرارِ الخلقِ الأول. قرروا ان يخلقوا داخلهم لخمو، لخامو؛ انشار، كيشار؛ ثم آنو الذي أنجب نوديمود. خلقوهم جميعًا؛ درءً للملل.

يتوالى ظهور الممثلين؛ ليجتمع الأبناء المؤلهون، يتحركون بين جنبات المسرح متسامرين وضاحكين أحيانًا، ثم متخاصمين ومتصارعين أحيان أخرى. تتخذ الإلهة الأم تُعامة جانبًا، ترقب أبناءها في سعادة بادية. تنزعج لصراعهم وتتألم، ثم تهدأ حين يعودون للسمر والضحك. بعد فترة تتسبب حركتهم في إزعاج أمهم، يُقلقون مضجع آبسو الذي يتقلب مرارًا على مرأى الجمهور محاولًا النوم، لكنه في كل مرة يفيق منتفضًا بفعلِ ضجة أصوات أبنائه، لم يستطع لإسكات صخبهم سبيل. يقف ويدب أرض المسرح بقدمه في غضب مُتجهًا نحو ممو الذي ظهر للتو، يُلوح بيده في ثورة شاكيًا. فيقررا معًا تدبير مكيدة تخلصهم من الأبناء، ليعود الصمت، ويخلد بعدها للنوم.

جحظت عينا سامي وهو يراقب الأحداث على المسرح الحجري البابلي حين صَرَّحَ آبسو بذلك.

بينما صرخت تعامة على المسرح: لماذا ندمر من وهبناهم الحياة؟

ويسترسل الراوي صائحًا: ولكن آبسو مضى على عزمه مع ممو، غير أن ذا الفهم العميق وصاحب الفطنة والحكمة (أيا) قد نفذ ببصيرته إلى خطط المتآمرين، فابتكر ضدها دائرة سحرية حامية ضربها حول نفسه ورفاقِه، وبترتيلته المقدسة جلب النوم لآبسو. يعلو شخير أبسو على المسرح فيقترب منه أيا بثبات الواثق من السحر والترتيلة الملقاة، يبتسم ساخرًا ويصيح" أردت النوم فلتنم" ينضو عنه تاجه، تنطفئ الشعلة المضاءة على رأس آبسو دليل انجلاء عظمته، ليحل أيا محل آبسو الموجود بذاته لذاته الذي لم يعُد يحكم شئ. ويخضع ممو المتآمر مع الأب الأول لحكم الابن.

تقترب تعامة من زوجها تهتز، تُمثِل بجسدِها علامات الحزن. ثم تُقَرِر الانتقام بنفسها من أبنائها، خَلَقت وحوشًا، وسارت الألهة في وسطهم، معلنة الحرب على الأبناء.

ظهر الممثلون يرتدون ملابس الوحوش، وتعامة الأم الغاضبة، تشير لهم.. توجههم، تخطب فيهم وتحثُهم على المُضي للفتكِ بأبنائها، وسامي غير مُصَدِق جاحظ العينين، محبوس الأنفاس، تتلهف روحه لشهقةِ هواء ضئيلة.

أغمض عينيه لحظة، فتسلل الهواء إلى رئتيه دفعة واحدة بعد طولِ إمتناع ليتوالى السعال.

ثم يد ممدودة بكوبِ ماء، وصوت قائل: إنت ملبوس يابني.

رفع سامي بصره المُشوش، رأى الشيخُ الراقي، جحظ في وجهه كمن مَسَّته يد الجنون، أجهش متقطع الأنفاس: تعامة.. الأم الأولى.. قتلت عيالها؛ على شان دوشوها!

ظِلال كهف أفلاطون[1]

(1)

_من فضلك محتاج أنقل (الشُنط)

على بوابة مطار القاهرة سألتُ أحد العاملين المُبتَلين بعرقِهم في نهار أخر صيف قائظ من الألفية الميلادية الثانية، فأشار جهة عربات اليد. سبقني أخي للكُشك المشار إليه، ودفع أُجرة العربة، لنضع عليها حقيبة السفر اليتيمة.

في طريقي لبوابة الدخول، لمحتُ عادِل زميل العمل ابن الأغنياء، ينقل حقائبه من سيارة دفع رباعي. إلى جواره تنتظر فتاة رقيقة ممشوقة استبدلت بأكمام قميصها خصلات شعرها_ الأسود الكثيف الناعم الطويل_ لتغطي كتفيها المكشوفين، يساعده في نقل الحقائب رجلٌ مهذب خمنت أنه سائق أبيه. انتظرتُ حتى انتهى، ثم لَوَّحتُ له. رأني فشكر السائق ودفع في يده بمبلغ موجِهًا لي ابتسامته العريضة التي لا تفارقه. دفع العربة أمامه وقد لَفَت الفتاة ذراعها حول ذراعه أثناء تقدمِه نحوي عدة خطوات. أسَرَّ لها بكلمة، فأحلت ذراعَه ليبسطَه لي مع كفيه.

عادل: أهلًا أهلًا. أما صُدَف حلوة! إلى أين المسير؟

رددت تحيته بأحسن منها ثم أجبته: السعودية بأمر الله.

تغير وجهه بعجبٍ استغرق لحظات ثم كمش انفه: ياه السعودية في حر أغسطس!

سألته: حر أو برد، ألف من يتمنى. وانت ياسيدى إلى أين المسير؟

---

٢ _نظرية لأفلاطون مشروحة ببساطة في رواية عالم صوفي أو قصة الفلسفة ل(جوستاين جاردر)

ضاقت عيني لالتقاط سبب تردده في الإجابة، لكنه نكز كتفي وكعادته استخدم الفصحى مازحًا

_ ألا تعلم يا أخي؟

_ خايف من الحسد.

_لا خايف ولا حاجة.

_سمعت في الشركة إنك مسافر لخالك السويد.

التفتَ للفتاة التي بدا عليها الملل ثم عاد يهُزرأسه ويبتسم في ارتباك: تمام السويد.

_ياسيدي الله يسهل لك ويسهل لنا. أشرتُ لبوابات الدخول وسألته: داخل؟

فأشار للفتاة وغمزني: حبة هنا.. اتفضل إنت لاتتأخر.

ودعته وتمنى أن نتلاقى عن قريب، فسخرتُ من الأمنية التي أصبح تحقيقها بعيد.

رأيتُه يلقي نظرة على أخي المتواضع الهيئة، لم أغضب. من حقه أن يرثى لنا.

ودعتُ أخي عند بوابة المطار. ومع وداعه انْبثقت من عيني دمعة واحدة فقط، بثقل بحرٍ، تلاطمت به ألام الفراق، ليُلقي بي في سبيل زمني لايعلم مقدارَه إلا الله.

أنهيتُ أوراقي وبقيتُ ساعة قصيرة في الصالة بانتظار ذلك الصوت الرقيق المُنَغَم ينادي لرحلتي. تسليتُ خلالها بمراقبة الوجوه التي نوت سعيدة عبور البحر المَرْجاني من أجل صعود درجة في هرم الحاجات الإنسانية، أو الإبقاء على درجة ضاع ضمانُها بين الأحبة.

رجالٌ فُرادى، وأُسر. نساء بأطفالهن، ووزجاتٌ وحيدات. بعضٌ من البُسطاء ذوي القمصان المخططة الرخيصة، كُثُر ممن حاولوا التأنق فأخطأوه. بدوا لي هؤلاء في منتصف الطريق. مثلي تمامًا لم يتخلصوا من عادة الاسترخاصِ بعد. إذ أن مراقبة منحنى الحياة على أرضنا يُعَلِمُنا أن لاضمانات لِغَدِك. عليك التشبث بنفسك، حملها والصعود أو السقوط بها. أما إن سقطت فأدعُ الله أن يتبرع البعض لحملك دون معايرتك بذلك اليوم المشئوم الذي مدوا فيه لك يد العون.

في صالة الانتظار كانت قلة نادرة تشبه عادل، تأنقت بثقة فأكدوا أنهم وصلوا لقمة الهرم، يرفلون في مكعب الضمان والارتياح.

تَمَشيتُ حتى السوق الحرة، طلبتُ من البائعة تجربة بعض العطور. عاملتني بإهمال. فأدركتُ أنها قد أدرَكَت أنني لا زِلتُ أركد في مربع الاسترخاص. قَوَّس ذلك نفسي في حلقومي، فغصصتُ بها.

هممت أن أخبرها أني سأعود بعد عام رجل أنيق تتمنى أن يمس طرف حذائي عتبة متجرها، حين ظهر على نَفْسِ العتبة أنيق جاهز تحومُ حولَه الفراشات البراقة ففرشت له شفتيها بابتسامة وفردت راحتيها تدعوه: هيتَ لك.

حاولتُ تقليبه بين عيني، ولكن نفسي المتقوسة خلفي طلبت الانسحاب في هدوء. حين رأت مني بعض عناد سحبتني من قفاي ثم طَيَبَت خاطري بإشارة للأمام البعيد.

أثناء الانسحاب لاح لي شبح عادل الأنيق. حسدته من قلبي وتساءلتُ: تُرى لو لم يملك صيت غناه الشائع بالشركة، وصِلاتَ عائلته التي يتشدق بها. هل كان ليفوز بقُربِ المدُير، ثم الترقية السريعة؟ ماذا لو لم يكن يتمتع بالأناقة الجاذبة للأنظار، لو كان مثلي مجرد إنسان بلا فراشات، لما وصَلَ لما وَصَلَ له.

ورغم كُل ذلك يرحل للسويد. لو كُنتُ املِكُ ربع ما يملكه من مزايا.. ولكني لا أملِكُ إلا شهادة تخرجي من كلية قمة. والبلدُ يعِجُ بمن يملكون شهادتي. عادت نفسي تنهرني وتشير إلى الأمام البعيد.

نودي للطائرة فصعدتُ مع الصاعدين. عند بابها كانت المضيفة، سألتني عن رقم مقعدي فلم أجب لأني لا أعرفه. سألتني عن التذكرة والكارت الأبيض الذي سلمه لي موظف المطار فتناولتهم من جيبي وناولتها إياهم. وجهتني لِمقعَدي فابتسمتُ بِعرضِ وجهي إذ ذَكَرَنى ذلك بقاعات السينما. طَلَبَتْ مني وضع حقيبة يدي التي أحملُ فيها أوراقي ومالي فى الخزانة العلوية، فتحتُ الخزانة ثم تراجعت خشية فقدانهم. أغلقت الخزانة وحقيبتي الصغيرة لا تزالُ في يدي. وأثناء غلق الخزانة لوَحَتْ لي مُخيَلَتى بشبح عادل مبتسمًا في نهاية الطائرة. سَبَبْتُ رأسي وجلست متأففًا. خبطتها بيدي وهززتُها مرات عدة لأسقطه منها. ماله يسيطر علي بمظهره وعيونه العسلية اللامعة وشعره الناعم المصفف بأرقى الصالونات؟

خللت شعري المُجعد بأصابعي ثم أرخيت رأسي خلفي، وحاولت الاستمتاع بالرحلة. تأملت الأرض تبتعد، لأرى الماكيت الصغير الحاوي لألاف المباني والطرق. هذه الرؤية العلوية التي طالما حكوا عنها. رؤية الأرض من زاوية الإله..إنتشيتُ للفكرة. ثم تصفحتُ الجريدة، تناولتُ وجبتي، غططت في نوم عميق. أفقت منه على صوت الطيار يُهنئُنا بسلامة الوصول. بعد دقائق كنت على باب الطائرة يلفح وجهي هواء الصحراء الملتهب. وخلفي سمعت صوته البسوم يُضاحك المضيفة. لا يمكن أن يكون وهم هذه المرة. التفتُ فرأيته. عادل! انه عادل! لا حسد، لا وهم، لاخيالات.

انتظرت في جانب أعلى سلم الطائرة حتى مر أمامي فخبطتُ على كتفه مُتسائلًا: ألا السويد طلعت حر بشكل ياعادل!

(2)

لو كان بالأرضِ شِقًّا لتَسَرَب إليه عادل كالهُلام لحظة الذوبان دون تردد. لكنها لم تكن مشقوقة. لذا لجأ لإبتسامته المعهودة، وحَثني على السير لإفساح الطريق لبقية الركاب الهابطين من الطائرة.

استقلينا معًا الحافلة المخصصة لنقل الركاب بين الطائرة والمطار وقوفًا، ولم أستطع إلا رفع عين بين لحظة وأخرى لملاحظة تعابير وجهه. لم يخطر ببالي أي سبب جعله يكذب كذبة كهذه. أشعل ذلك حماسي لكشف الحقيقة. ثم أضف سعادة القلب لوجود ثغرة بعادل. ثغرة! قُل فجوة واسعة، الكذب. رقص قلبي حين ردد ذهنى عليه" لم يكن عادل كاملًا بل هو كاذب"

لاحظ عيونى الملتصقة بوجهه وابتسامتي الشامتة، فتوجه لي: ياترى سعادة الوصول هي المرسومة على ملامحك؟

هززتُ رأسي بانسجام: لا. على ملامحي سعادة صُحبتك في بلد غريب.

أمعن النظر في عيني فهربتُ بهما إلى مخرج الحافلة التي توقفت أمام بوابة المطار.

في طابور ختْم الجوازات تركته يتقدمني ثم دسستُ أنفي بين وجهه وكتفه أسأله: ياترى في سبب انك تخبي سفرك للسعودية؟

أخذ نفس عميق ولم يجب.

_ ممكن الصدفة تتكرر، نكتشف اننا زمايل في شركة واحدة. ساعتها ممكن تهرب؟

أجابني وهو يوزع بسماته على الصغار التابعين للأُسرة المنتظرة في الطابور أمامه.

_الله المستعان يانعيم.

تَقَدَم ليختم جوازه قبلي مُقدمًا ابتسامته العريضة لضابط الجوازات، لكن الأخير قابلها بصرامة وجفاء صحراوي. انتهى، غادر وغاب عن عيني دون أن يلتفت لي.

منذ بدأت إجراءات السفر للحصول على التأشيرة ثم تذكرة الطيران، وأنا أحلُم بلحظة ختمِ الجواز بتأشيرة الدخول للمملكة كلحظة فارقة في حياتي تؤكد لي أن القادم أفضل. ولكنها لم تستوقفني كما خططتُ وحلُمت، إذ سعيتُ خلف عادل لأقابلَه عند سير استلام الحقائب.

كانت الحقائب تدور وسائل مُنسَكِب بينها على السير (الكاوتشوكي) الأملس. أظن أنه سبب الرائحة النتنة التي انسابت للأنوف. سمعت المسافر المنتظر حقائبه إلى جواري يحدث زوجته بصوت حاول أن يجعله مسموع: ريحة مِشْ وبدوده. حاجة تكسف.

قَدَمَت له الزوجة بيدها_المكتنزة والمُزيَنَة بعدة أساوِر ذهبية_ مِنديلًا مُعَطَر، كالذي تضعه على أنفها ففعل مثلها. بتفحصهما قدرتُ أنهما ممن يلعبون في مربع الاسترخاص. الحناء على أظافر السيدة والبدلة الجابردين ثم الأتربة التي لازالت عالقة على حذاء الرجل رغم طول الرحلة، أضف إلى ذلك كَسرة عالقة ببعض الحروف المنطوقة تؤكد انهم من أصل قروي. لِما التأفف من رائحة المِش إذن! تُرى أببلادنا بيتٌ لم يمر عليه طبق المِش يومًا؟

أمسكتُني أنظر لعادل في الجهة المقابلة وأتساءل" تُرى آضطر عادل لأكلِ المِش يومًا؟

إلى جوارِ عادل كان عامل المطار يشيرله إلى حقائبه فينقلها من السير الدوار إلى العربة. بعد الحقيبة الثالثة أشار للعامل أن يتوقف عن البحث على السير، سحب منه العربة مغادرًا بينما لما تظهر حقيبتي بعد.

أيضيع مني دون أن أفهم. ناديته ولكنه لم يلتفت وتابع المسير. عضضتُ على شفتي في غيظ كاد يدميها. عُدتُ أنتظر حقائبي بين دُفعة الحقائب الجديدة القادمة.

حين سمعتُ العامل ينادي: ياسيدي ..يامحمد

حمل حقيبة مُبتلة وجرى خلف عادل. وَضَعها في عربته وأشار له بالرقم المطبوع على الورقة الملتفة حول يد الحقيبة مُقارنًا إياه بأرقام حقائبه الأخرى.

التفت عادل تجاهي ففتحت عينيّ على إتساعهما ورفعتُ حاجبي مندهشًا. استلم حقيبته. وضعَها على طرف العربة كي لا تلوث باقي الحقائب. ثم تابع السير.

كان يجب أن أضحك، لم أفعل. فقدتُ القدرة على الاستيعاب. كمن إرتطمت رأسه بجدار صلب اهتزت رأسي. رأيتُ حقيبتي اليتيمة فسحبتها للعربة. وانطلقتُ مُردِدًا: مافي بيت فيكِ يابلد خِلي من طبق المش! (فأط) الأصيل يبان عليه.

صيدلي من الباطن

حين خرج أدم من الباب المقابل لباب الدخول. كان لابد لصُحْبته القديمة أن تكون هناك.. لتقديم واجب العزاء. وأصونة العزاء ليست كالمقابر محلات وداع، بل هي أُمسياتُ لقاء. تجمع من تاهوا أثناء الالتصاق بقَعرِ عجلة الحياة. يرسُمون الحزن بأعينهم وعقولهم لاهية بالأعمال والأحباب. شرد أحدهم في ذكرى خاصة، ابتسم وهز الرأس. فانتقل المقابل له إلى جواره وهمس في أذنه: لك حق. كان راجل بشوش ويحب الضحك. أمسك أحد المعزين مُكَبِرَ الصوت في الاستراحة بين قراءتين، وبدأ في الدعاء للمُتوَفى. رفع المُعزون أكفهم وآمَنوا خلفه. بعد الانتهاء من الدعاء أخذته سطوة الحديث. وبالمُكبر الجهور قدم التحية لابن عم المتوفى الذي دعاه لتقديم واجب العزاء بعد انقطاعه عقدين عن زيارة المدينة، فأتاح له ذلك الفرصة لرؤية الأهلِ والأحباب. وكانت تلك في حد ذاتِها فرصة لتحيتهم من خلال المُكبِرِ فردًا فردًا. ألم أقُل لكم أنها محلات لقاء!

حينها ظهر شيءٌ من الإمتعاض على ذلك الوجه المُضاء بالرِضا للمنتظر أقصى يمين الباب مستصغرًا الحياة بكل مافيها من زينة وأهل وأموال زائلة. مُمسِدًا لحيته الكثيفة وقد اعتمد عليها بعض الاعتماد في كنس ذنوب الماضي التي لا يعلمها إلا الله، ثم تلكم الصحبة القديمة. في الاتجاه المقابل كان من حَلَقْ رأسَه، ذقنَه، ومعهم قلبه من كل العقائد. فجلس يرقبُ البابَ بنصفِ عين حاسبًا عدد الملذات التي لم يذقها أحيانًا، وأحيانًا مُقدِرًا نفسَه في كتلة الإنسانية التي لتوها أتت صدفةً! ولتوها رحلت.. صدفةً! دون أن يفهم فيما أتت وفيما ذهبت.

أحدُ المعزين نظر للجلوس فرآهم أكوامًا من الدود المكدس على المقاعد فآثر الانصراف سريعا قبل إفراغ مَعِدَتِه أمام خلق الله. هنا مال صابر على حاتم صديقه وقال" يظهر حكاية الدود رجعت لصاحبك" (مشيرًا للمغادر بسرعة تترنح خطاه حين يمسك بمَعِدَته)

_تعال نلحقه.

في طريق الخروج كانا ابني المتوفى. مراهقان مهندمان مهذبان مال عليهما حاتم وطلب تسجيل رقم هاتفه. كما سجل أرقامهما وأكد عليهما الاتصال به في حال تعثروا بأي مشكلة من مشكلات الحياة؛ مُذَكِرًا إياهم بالعلاقة الوطيدة التي كانت تربطه بوالدهم.

حين غادرا سأله صابر: ياترى وقتك يسمح تداوم في السؤال عليهم؟

جحظت عيون حاتم غير مُصدِق أذنه: انت فاهم إنه كلامك على أولاد أدم!

ربتَّ خلف كتف صديقه وأجاب: ياسيدي.. كلنا من نَسل أدم، ربنا وحده المُعين.

حاولا إسناد صديقهما المترنح فأزاحهما لاجئاً بسرعة لجانب مُظلِم من الشارع ليُفرِغَ معدته.

انتظراه حتى انتهى ثم مد له صابر يده بمنديل ورقي. وصَحِباه لسيارته. لما رأى حاتم سوء حال صديقه منعه من إدارة مفتاح السيارة، واقترح عليه أن يقله بنفسه للبيت. ثم يمكنه العودة غدًا لأخذ سيارته بعد تحسن حاله. لكن طه الغاثي بلحم جسده الشحيح هزَّرأسه رفضًا.

اقترح حاتم: تعالوا عندي الصيدلية قريبة. منه نلحقك بحقنة برمبران. ومنه ألحق البنت الصيدلانية.. مثبتها ساعة زيادة بالعافية.

تحامل طه وسأله إن كان لازال يدير صيدليته بنفسه.

مَط حاتم شفتيه في أسف، ثم هز رأسه بالإيجاب

تحرك الثلاثة في موكب صامت لازالت صدمة الفراق عالقة بأذياله. وصلوا لصيدلية حاتم على بعد شارعين من دار المناسبات المُلْحَقَة بالجامع الكبير للحي. دلف حاتم و صديقاه طه زميل الدفعة، وصابر خريج كلية العلوم الذي لم يوفر جهد أو تنازل للحصول على عمل بشركة أدوية ليتساوى بأصدقائه. ما أن رأتهم الصيدلانية الشابة حتى سحبت سماعات الأذن الدقيقة من تحت الحجاب. وبأنمُلِها المفلطح ذي الظافر المتآكل لمست شاشة هاتفها.

لمح حاتم ذلك فسألها مبتسمًا: أظن خلصتِ كل البومات محمد منير لأخرها.

ابتسمت بِرَقَة وهزت رأسها: لا، باقي أغنيتين. حضرتك عارف انه غصبًا عني.. فراغ.

_البركة في بهنسي. ثم زفر واستدرك: الحمدلله.

الصيدلانية: مندوب شركة فارما كان هنا و...

زَمَت شفتيها كمن تريد إخباره شيئًا فهمه دون أن تنطق به فأجابها بهزةِ رأسٍ، أخرجت من جيبها صور لوصولات، سلمته الدرج، ثم انطلقت وتركتهم في الصيدلية الهادئة.

بادره صابر متسائلًا: هدوء غريب! صيدليتك كانت بسم الله ماشاء الله.

هز رأسه وحمد الله ثم سأل طه عن حاله.

فأجاب: لو تلحقني بحقنة يكون أفضل. النوزيا(غثيان) ممكن تلازمني طول الليل.

حاتم: أجهز لك حقنة برمبران.

طه: برمبران ضعيفة في حالتي، ياريت زوفران.

توارى طه مع حاتم في المعمل. فتجول صابر بالصيدلية مُتعَجِبًا فسأل صديقه: المعروض على أرفف الصيدلية قليل ياحاتم! مظهر سيء جدًا للعميل.

_وأملاها على أي أساس؟ إنت شايف الحال.

صابر: الناس كلها في الحي صحتها بمب مثلًا! ولو بطلوا يمرضوا، معقول جاريأكل أكلة سمينة، يحتاج كيس فوار. جارة كعب رجلها يشقق تحتاج علبة كريم، علبة شامبو، صابونة!

خرج طه وجلس على أحد الكرسيين المحاذيين للمكتب، لحقه حاتم بعد دقيقة. سحب منديل ورقي من العلبة المفتوحة على المكتب ليجفف يديه المغسولتين، شَبَّك ذراعيه أمام صدره وجلس صامتًا.

طه: انت سرَّحت بهنسي؟ عارف.. كنت دايمًا أقول لو عندي مساعد في نشاط وأمانة بهنسي؛ عُمري ما كنت أجَّرْت صيدليتي أبدًا.

بدا حاتم كالبالون المنتفخ. وصارت أسئلة أصدقائه بمثابة وخز الدبابيس التي إن فشل أحدُها فلابد للأخر من تفجيره. فانطلق يحسبن ويدعو على بهنسي. ويلعن اليوم الذى رأى فيه بهنسي ثم يترحم على والده ويدعو الله أن يسامحه أن أتى له بهذا البهنسي.

استدعت عصبيته المُفاجئة ضحك صابر الذي حاول تهدئته دون فائدة. فسأله: طب إحكِ لنا على شان ندعي معك على أبوه وأجداده.

أخذ حاتم نفس عميق ثم بدأ في سرد نهاية حكاية بهنسي معه. ولأنه لا نهاية بلا بداية فاسمحوا لي أن أسرد عليكم بداية بهنسي مع حاتم قبل سرد النهاية.

(1)

بهنسي شاب قروي. جاء إلى المدينة لاستكمال دراسته بمعهد السكرتارية. تخرج ليواجه صعوبات الحصول على وظيفة ككل شباب جيله والأجيال السابقة.

حار بهنسي وتاه بين الطرقات بحثًا، جرب العمل بعدة وظائف بعيدة عن دراسته، لم يفلح. جلس بعد صلاة العصر في مسجد يناجي ربه. أخذته المناجاة فخانته عيونه بالدمع. لمحه شيخ من رواد المسجد. تقدم ناحيته وربت كتفه في عطف.

خجل الشاب من وضعه فلم يرفع رأسه ليواجه الرابت بدموعه. لاحظ الشيخ ذلك، فمد يده له بورقة مالية. حينها رفع بهنسي وجهه ورَّد المحسن: والله ما شحات! انا مُتعلِم، وعندي شهادة.

جلس الشيخ الودود إلى جواره وقال: أنعم بالمتعلمين. عمك حسين. واسم الكريم؟

_بهنسي.

_متوظف حكومة ولا خاص يابهنسي؟

هز بهنسى رأسه: لي فوق الشهر ساير على كعوبي مافي وظيفة واحدة خالية. انا خريج معهد سكرتارية دفعة عامنول.

_مع إن تخصصك مطلوب في كل المكاتب والشركات.

آكَد بلهجة قروية مميزة بمطِ أخرها: اه مطلوب.. إنما بشروط.

عَدَّ على أصابعِه المكتنزة: حُسن المظهر واللباقة والمرونة.

استنكر الشيخ: كلها أمور سهلة، واذا فيها صعوبة حاول تتعلمها.

_ أتعلمها ومالُه. وبالنسبة لعدم ارتداء الحجاب! (مع مط المد في اخر كلامه)

فضحك عم حسين من قلبه: تقصد المكاتب تفضل توظف البنات؟

هز بهنسي رأسه بالإيجاب. وأطرق كما أطرق عم حسين مُسَتكملًا تسبيح على مسبحته لوهلة ثم قال: شوف يابهنسي. انا عندي وظيفة خالية.

انتبه له بهنسي وإشرأب عنقه.

_اسمعني للأخر بدون عجلة. ابني عنده صيدلية جديدة، محتاج فيها مساعد. من غير ما أوعدك لأن القرار قراره. لكن تعال.. نعرض عليه الأمر.

_الصراحة ياحاج يعني... أنا مالي وما للصيدليات والأدوية!

_حد قالك لك تعال اشتغل صيدلى!

_أصل أنا قلت لك إني خريج معهد.. غير الدبلوم يعنى. واذا كنت كملت دراسة لحد المعهد؛ فعلى شان أتوظف وظيفة محترمة من غير مرمطة.

_ربنا قال اسعى ياعبد وأنا أسعى معَك. حبيت تيجى أهلًا وسهلًا، قلت لأ.. أقوم أنا اشوف حالي وربنا يوفقك.

قام بهنسي مع عم حسين وكانت البداية.

(2)

قَررَّ بهنسي قبول الوظيفة التي لم تتطلب منه في خلال الشهر الأول إلا البقاء طوال ساعات النهار بالصيدلية المُكيفة في عِز حر الصيف للمراقبة والمتابعة فالتعلُم. مع راتب رمزي حتى تشرُب متطلبات العمل والقدرة على أدائها. قبِلَ حين قارن ذلك بالظروف المُجهِدة للوظائف التي فشل فيها سابقًا برواتبها الضئيلة. قَبِلَ لأنه في حاجة لتكوين مستقبله، في حاجة للوقوف على أرض صلبة، ثم الانطلاق لمستقبل رسمته له العاصمة وزينه له أبنائها (المتودكين) بأناقة. ولأنه قبل كل شيء في حاجة للمال. وقد عَلِم أن ساعات عمل المساعد غير محدودة(هو وشطارته) وحسابه أخر الشهر على حسب عدد ساعات عمله بالصيدلية. وتمسمرت قدماه حين شنف أذناه نداء العملاء له (يادكتور) بعدما تعلم على يدي د.حاتم صاحب الصيدلية قراءة الروشتات وتوفير مابها صحيحًا من قلم الطبيب ليد المريض. حينها لم يبالِ بتعالي الصيادلة من حوله. لم يبالِ بتعمدهم الحديث بالإنجليزية مستخدمين المصطلحات الطبية ليمنعوه من التواصل معهم أحيانًا. لم يبالِ بسخرية أول مساعد منه واصفًا أمانته بال(عبط) حين ضَبَط بهنسى تلاعُبَه في الحسابات خلال فترتِه. لكل هذه الأسباب وربما لنوايا أخرى؛ بقي بهنسي يعمل بالصيدلية لمدة سبع سنوات وهي فترة طويلة مقارنة بغيره من المساعدين في باقي صيدليات العاصمة. آجر خلالهم سكن ضيق بنفس الشارع ليوفر على نفسه مصاريف التنقل.. ثم تقدم للخطبة بمساعدة مادية من الحاج حسين والد د. حاتم حَرِصَ على ردها على دفعات. ومع الوقت طفح على سطح وجه بهنسي طبع لئيم. يُخَفِض جناحه للزبائن، ويسايرهم. ينادى جارتهم المتعجرفة بالهانم.. مُطأطيء الرأس مُعنيًا كل حرف في الكلمة. يبش في وجه السيد

المستشار بَشاشَة تُعرِب عن سعادة حقيقية بلقائه. يفتح باب الحديث مع المدرس القاطن بالدور الثالث بعدما علم بقبول ابنته مها في كلية الصيدلة، فيَعِدُه بالتوسط لدى د. حاتم للسماح لها بالتدرب في الصيدلية. ثم يداعب أطفال حُراس البنايات ويغدق عليهم بالحلوى الرخيصة، طمعًا في جر أقدام آبائهم_ وهُم مفاتيح بيوت السكان وجيوبهم. لاحظ حاتم كل ذلك فزاد تمسكُه به. ولأن تجهيز الصيدلية تم على يدي بهنسي مع صاحبها. وتابع معه كل علبة دواء أثناء رصها على الرف وبيعها ثم استبدالها بمثلها أو بديلها. مكنه ذلك من اصطياد أعتى محترفي السرقة_ وبخاصة المستورَد_ ممن يعملون بالصيدليات من صغار الصيادلة والمساعدين ثم تقديمهم بالدليل القاطع الذي لم يقبل شك مرة عند حاتم مُحافظًا على المال. أما العملاء فكان يعرض عليهم منتجات التجميل، الأجهزة الطبية، أدوية العرض على الرف بودٍ دون إلحاح. ينصح أحدهم باستبدال العلاج الباهظ الثمن بوصفة طبيعية مُجربة، تأتي بنتائجها فيعود الرجل ليستشير بهنسي عند كل وَصَب مُتجاهِلًا الصيدلي. يرفض شراء العلاج الموصوف من الصيدلي الدارس لكل مركب من مركبات الدواء، بتفاعلاتها، تأثيرها، موانع تناولها، وأثارها الجانبية إلا بعد.. أخذ مشورة بهنسي خريج معهد السكرتارية!

لم يغضب حاتم؛ في النهاية الربح الذي يدره بهنسي يصب في صالح الصيدلية. ما كان يقلقه الخطأ الذي قد يقع فيه المساعد فيودي بصحة إنسان. ينصح بهنسي ويحاول أن يشرح له أنه لا يصح أن يصف الدواء إلا الطبيب.

يرد دون رفع رأسه التي عودها على الخضوع: وهو الصيدلي طبيب؟

يغيظ حاتم رده فيكيل له: أديك قلت صيدلي يا خريج معهد الألة الكاتبة. في بلاد متقدمة الروشتات ممنوع على الطبيب يكتب فيها الاسم التجاري للدواء. إنما يكتب التشخيص والمواد المطلوب العلاج بِها والصيدلى يحدد الدوا

يجيب بهنسي بخبث: أيوه. حاجة عملوها على شان يحدوا من إغراء شركات الأدوية للدكاترة. ويقللوا زيارات مندوبينهم للعيادات بالهدايا والعزومات وتذاكر السفر. فيضطر الدكتور يراعي ربنا ويكتب للمريض المادة الفعالة فقط، من غير مايوصف له روشتة بمئات الجنيهات. رقابة على الأطبا يعني.

يرفع حاتم حاجبه في اندهاش ثم يقول: ماشاء الله.. انت مُطَلِع يا بهنسى!

_أُمال.. عشان أشرفك يادكتورنا. وتقدر سعادتك تركز في رسالة الدكتوراه. ربنا يفرحنا بك وبشهادتك.

بالفعل وفر بهنسي وقت حاتم لإنجاز دراساته العليا ولكن صاحب العمل وَدَّ بعد ذلك النقاش لو يُعلق على باب الصيدلية لافتة مكتوب عليها(عزيزي العميل.. إن كانت لديك استشارة فلتتأكد أولًا أنك تتحدث مع الصيدلي) ولكن ذلك كان ليهُز ثقة العملاء بالصيدلية.

لذا إكتفى بتوصية الصيدلي المساعد عدم السماح لبهنسي بوصف أي دواء للعملاء.

ونجى الله د.حاتم من عواقب إفتاءات بهنسي، فتفرغ لرسالة الدكتوراه. واستفاد من مزايا مُساعدِه الأخرى ومعاملاته مع العملاء، فذاع صيت الصيدلية بالحي. واكتظت بالعملاء.

ولأننا كمجتمع بطبعنا نتبع سياسة(غَرْفَة من علبة الكشري لن تؤثِر) وإن بادر الجميع بمد يده بالعلبة فلم يبقى لصاحبها عدسة! ونؤثِر المثل القائل(من جاور السعيد يسعد) فقد شجع إكتظاظ صيدلية حاتم أحدهم

لشراء محل على ناصية الشارع يبعد عن الصيدلية مئة متر بالضبط حسب القانون. علق عليها لافتة عريضة مكتوبٌ عليها: صيدلية الأمانة لصاحبها د. زين الدين.. الافتتاح قريبا جدًا.

سأل د. حاتم مساعده: شُفت الصيدلية الجديدة على الناصية يابهنسي؟

_ايوه.

_افتي. سمعني رأيك.

التفت له بهنسي وسأله: على بالك تشتريها؟

_تعرف صاحبها؟ من هنا من الحي؟

أجاب ببلاهة ريفية زائدة: ما سألتش يادكتوور.

_إهيي وانت ساكن في نفس الشارع؟

بهنسي بأريحية: خلِيها على الله. هو مقسم الأرزاق.

_ ونعم بالله

نسي حاتم الأمر وعاد لمتابعة دراساته حتى كان صباح. دق هاتفه في ساعة مبكرة. فإذا بعامل توصيل الطلبات يسأله عن سبب غلق الصيدلية

حاتم: هي الساعة كام؟

_عشرة وربع.

بين النعاس ومحاولة الإدراك سأل حاتم عن بهنسي، ولم يكُن لدى العامل علم.

_اتصلت بالدكتور؟

_اتصلت، ومشواره بعيد.

_ أنا جاي لك بالمفاتيح.

بعد محاولات فاشلة للوصول لبهنسي. اضطُر حاتم لمغادرة بيته مبكرًا على غير العادة. طلب من العامل تجهيز فنجان القهوة المضبوط قبل البدء في أعمال النظافة.

ساور حاتم القلق على مساعده. فنادى عامل النظافة الذي قدم القهوة وبدأ في أعمال النظافة، طلب منه إنهاء عمله بسرعة ثُم التوجُه لبيت بهنسي للإطمئنان على حاله.

العامل: ياسلام عليك يادكتور. صحيح أخلاق دكاترة.

انفتح الباب الزجاجي ودلف الصيدلي المساعد الضحوك: ياصباح الخير.

د. حاتم: صباح النور.

بابتسامته العريضة: شفت الصيدلية الجديدة على الناصية!

فتح عينيه عن أخرهما فلمع بؤبؤهما حين استرسل: شكلهم عاملين شغل نار.

أشار حاتم لخلو الصيدلية وقال: واضح.

_هو بهنسي أجازة؟ معقول؟

_بهنسي اختفى. أنا فتحت بنفسي الصبح. كان فيه حاجة قبل مايقفل بالليل؟

_ أبدًا. لكن لاحظت إنه مقفل من يوم الجرد.

أعلن حاتم في عصبية أن عجز أثنين وعشرين ألف جنيه يجلبوا الطرد للعاملين والمسئولين عن الصيدلية في غياب صاحبها. وإن كان اكتفى بالخصم فإن ذلك من طيبة قلبه.

فتغير وجه الصيدلى البسوم ولم يُجب.

حاتم: المهم.. شوف والنبي تامر لو كان خلص نظافة يروح يتطمن عليه؛ ليكون جرىَ له حاجة.

ظهر تامر متأهبًا للذهاب و سأل إن كانت هناك طلبات عليه توصيلها، فلم يجد.

حاتم: ولا طلب ياعم تامر. عدي لنا على الصيدلية الجديدة شف لنا الأخبار.

لم تمر خمس دقائق إلا وعاد تامر عامل التوصيل للصيدلية. دخل ضاحكًا كالأبله.

د. حاتم: لحقت تروح بيت بهنسي وترجع؟

_ لا يادكتور أنا اتطمنت عليه من غير ما أروح له البيت.

رفع الصيدلي المساعد عينه عن جهاز الكمبيوتر؛ ليتابع حديث الفتى الضاحك في بلاهة.

_ أصلي لقيت بهنسي على ناصية الشارع.

_ يعني جاي وراك؟

هز رأسه نافيًا: لا ورايا ولا قُدامى. بهنسي مش جاي تاني.

وقف حاتم وقد بلغ الغضب ذروته من تقطير العامل في الحديث، فنهره: ماتتكلم وماتقرفناش بهبلك انت لاخر.

إلتأم فم العامل بعدما انفرج ضحكًا منذ قليل وقال: بهنسي اشتغل في الصيدلية الجديدة.

حاتم والصيدلي معًا: نعم!

_ والله العظيم واقف هناك وكل زباينا عنده.

أنهى حاتم الحكاية لصديقيه طه وصابر في الصيدلية الخاوية على عروشها ثم أطبق فكيه، لكن أفكاك صديقيه لم يُطبقا. بل تحرك فك طه

مستجيبًا لسؤال أملاه عليه المنطق فأنطقه: يعني هو هجر الصيدلية فجأة بدون مقدمات؟ ومستحقاته!

أما صابر فقد راقصت الأفكار لسانه فتلوى بسؤال تلو الأخر: ثم معقول يكون السبب هو الخصم عن العجز؟ أصلًا تصرفك طبيعي جدًا. إلا إذا كنت شتمته أو هزأته؟ أصل الخصم سبب غير مقنع انه يبيعك فجأة ويشتغل مع غيرك بعد سبع سنين، ومع المعاملة الطيبة منك ومن الوالد رحمة الله عليه. ثُم ... ماهو كل مرة يطلع الحرامي بنفسه! وغير بديهي إن بهنسي يمشي يقوم كل الزباين يمشوا معَه.

رد حاتم بابتسامة ساخرة: كل أسئلتكم في محلها. طبعًا الخصم سبب غير مقنع انه يمشي وياخد الزباين معَه لصيدلية جديدة. إلا إذا كانت الصيدلية الجديدة ملكه هو شخصيًا.

جحظت أربعة عيون في وجه حاتم: نعم!

_انعم الله عليكم وعلينا. اتضح يا دكاترة إن بهنسي استحمل السبع سنين كلها لهدف. واتضح إن كل المسروقات والخنصرة في الدرج كانت منه هو شخصيًا. بس كان بذكائه وفهمه لطبعي العصبي المتهور زائد انشغالي بالرسالة: يعرف كل ما اعين مساعد غيره يرسم علي إنهم خاينين للأمانة، فأمشيهم وأبقيه، لأ.. وأكافئه على أمانته وانتباهه! اتضح إن ال٢٢ الف عجز أخر جرد.. كانوا في جيب بهنسي. واتْخَصَم للصيادلة الغلابة وسكتوا. اتضح إن البيه سارقني من زمان ودارس دهاليز قوانين النقابة والتراخيص وعليها يقدر يعمل صيدليته الخاصة. وهنا جانبي لزوم القهر.

صابر: لا لزوم حفظ الزبون وهو رباه بنفسه.

طه: ده واد ابن ستين...

حاتم: والأسوء إنه فهم الجيران إن أنا طردته بعد خدمة السنين الطويلة. لأني شكيت إنه الغلبان سرق من الصيدلية. ومن يوم ما بابا الله يرحمه توفي وأنا ماسك له على الواحدة. وإنت عارف لؤمه ومسكنته. وعارف إن جو الصعبانيات ناجح قوي في بلدنا.

صابر ولا زال مُصِر على فك اللغز: لكن الناس لازم سألوه" من أين لك هذا"

حاتم في يأس: هم الناس يعرفوا إنها ملكه؟ الصيدلية مكتوب عليها لصاحبها د.زين الدين.

استرسل ساخرا: صيدلية الأمانة. وأى أمانة! والكل عارف انه حي الله مساعد خريج معهد ألة كاتبة وترخيص الصيدلية لازم له صيدلي. والشاطر يثبت إنها مترخصة ومستأجرة من الباطن.

جلس الثلاثة والطير فوق رؤوسهم بعدما قال أحدهم: ياخسارة الشهادات!

” أدرَكَتْ اللَوْزَة قَبضتَك إذ جعلتها بين طاحنين.

فاستسلمت

لا لضعفها، وإنما هي فرصتها الأخيرة لعبور القشرة القاسية، وتنفس هواء الكون الواسع للحظة ضئيلة قبل تسليمها للفناء في كهف وجهك السحيق“

محظوظ اتجوز زيزي

في غرفة غُلِفَت جدرانها بورق لاصق مُزين بالفستق والورد. جلست سيدة شابة أمام عدسة تُحاول ضبطها على وجهها، صاحب ذلك صوت وش خفيف. يتوسط الغرفة خلفها سريرٌ فردي مُرَتَب. غطاه مِفْرَشٌ مُخملي أسود بلا رسوم ولا نقوش. اختفت تحته وسادة وردية لم يظهر منها إلا طرف صغير. في الجانب الأيسر من الشاشة مكتبة خالية إلا من مجموعة أسطوانات ممغنطة مبعثرة على كُلِ رَف، ثُم كتابين استند أحدهما على إطار المكتبة حاملًا صورة بالأبيض والأسود لممثل ومخرج مسرحى قديم. والأخر مفتوحٌ وقد انفصلت عنه بعضُ صفحات تبعثرت في إهمال على رف المكتبة.

بَعْد ضبط العدسة، بَدَأَتْ السيدة الحديث بالتعريف بنفسها: أنا زيزي، اتخذت قرار مِفصَلي في حياتي. فضلت قبل تنفيذ قراري سَرْدَ قصتي على العالم_ رَفَعَتْ يديها علامة مابين قوسين_ الشرق أوسطي. اعتبروه تبرير، اعتبروه استهجان، اعتبروه وسيلة لاستدرار عطفكم، لاستنطاق منطقكم، أو اعتبروه.. بصقة! كما شئتم اعتبروه.

تحكِ زيزى أن قصتها بدأت يوم ولِدَت بتكوينها الأنثوي الناعم الذي كتبه الله عليها ولم تختره فصارت زيزي.

ولأنها زيزي في مجتمع شرقي، فقد تربت في أكثر الأماكن أمانًا لها كأي زيزي من طبقتها_ البيت. متابعة التلفاز كانت تسليتها الوحيدة. تركوها أمامه، لتلتهي به عن باب الخروج. ومنه نبتت هوايتها وهي تقليد كل ماتراه عليه أمام المرآة.

حين أتت الفرصة في المرحلة الثانوية اشتَرَكَتْ زيزي في فريق التمثيل المدرسي. هنا ضمَّت كفيها أمام عدسة الحاسوب بحماس طفولي" كانت أسعد لحظات حياتي لما مسكت النص أحفظه"

في المرآة استطاعت أن تُحرر الدور من الورق، لترتديه على جسدها. حَدَقَت بعينيها لشخصٍ بعيد عَلَقَ على شفتيها ابتسامة بينما تحكِ" شجرة الدر. كل تفاصيل حياتها، الحدث بتاريخه محفورة في عقلي للحظتنا الحالية" ضَحِكَتْ مسترسلة " مع إني أهملت كل الأسئلة الخاصة بقصتها في اختبار اللغة العربية السابق على استلام الدور. إنما على المسرح الصغير وانا لابسة دورها.. نسيت اسمى وأهلي وكل الثوابت في حياتي، كُنْتها ، في زمنها، بمشاعرها، وعقبات حياتها. غِبت.. غِبت حتى عن الحضور واندهاشه من أداء البطلة الصغيرة على خشبة مسرح المدرسة الصغير"

عاد وجهها الذي حَلَقَ بعيدًا منذ قليل على أجنحة الذكرى. تَبَدَّل تعبير ملامحه السعيدة أمام الكاميرا بتعبير ساخر: كذلك اندهشت الأسرة لما وصلهم الخبر. ونتيجة دهشتهم..(صمتت لحظة لتسحب الابتسامة الساخرة عن وجهها فيتجمد فجأة) قاطعتُ فرقة المدرسة للتمثيل المسرحي.

ثبتت ملامحها على تجمُدِها للحظات بَدَت طويلة حتى يقولُ المَشاهِد أنها تمثالٌ حبس فيه المثَّال كُلَ دموعه. تمثالٌ بكى صاحبه واستجدى دون جدوى.. حتى أصابه اليأس. لكن زيزي فاجأت مشاهديها بأن خَفَضَت رأسها، وقالت: يأس! أبدًا عُمري ماعرفته.

ثُم استرسلت تقولُ أنها حاولت بعد الانتهاء من الدراسة الثانوية، البَدْء في دراسة أكاديمية تعززُ موهبتها وتُصقِلُها. فاتحت والدتها في الأمر الذي قوبل بالرفض. حاولَتْ إقناعها أنه المجال الذي تستطيع تحقيق ذاتها فيه. بذلت كل

وسيلة لاقناعها، لكن الوالدة أنهت تَدفُق الحديث بـ" أكثر من الهوايات مافي. ارسمي.. اتعلمي شغل إبرة"

" هي الميول الفنية اختيارية! انتِ مُعترِضَة على هبةٌ ربنا! يمكن أدرس اختيارك. بعدها أعمل بموهبتي مايحلى لي. لكن العمل بدون دراسة يأخرني، يحُط من قيمتي بين الدارسين. أرجوكِ خليني ابدأها بداية سليمة"

كادت الأُم تلطُم خديها: افضحينا. وإذا أعمامك سألوني عنِك؟ أقول لهم لَحْمكُم وقفت (فُرجة) على المسرح تسَلى الناس وترَوح عنهم! أقولهم سهرت في الشارع تصوَر فيلم للسينما! ألف لهم سيرتي في لفة ملبن يمضغوها بلسانهم المسموم! لايمكن. لو حابة التمثيل.. مَثَلي بعد موتي. ساعتها تحملى حِمل تبرير عملتك، وفضيحتك بنفسك. أما طول عيشتك معيَ افهمي إنك مُلْزَمَة بكلامي وقوانين بيتي.

قررت زيزي في ذلك اليوم عدم الالتزام بقوانين البيت، لأنها لن تبقى فيه. ابتسمت أمام العدسة واستدركت: الهروب! تصرُف البطلات الساذجات في الافلام القديمة. أتمنى الفرصة تسمح لي أمثل دور الهاربة الحالمة. إنما في حياتي كنت واقعية.. جدًا.

تَقولُ أنها تَرَكتْ والدتها وفتحت شُرفَة غرفتها مُسْنَدة ضُلفها بطول ذراعيها تشتم اكبر قدر من هواء الكون الفسيح كما كانت تفعل في كُلِ مرة خُنِقت فيها أحلامها. وأمام الكاميرا أغمضت عينيها لتصف ماتقول" غَمَضت عيوني، حلمت بجناحين وعشٌ جديد أقدر أرجع له بعد تحليق يوم طويل"

ثُم ضَيَقَت عينيها واسترسلت" ولما فتحت عيوني في البلكونة، ظهر محظوظ"

ومحظوظ جار زيزي الذي يحلو له البقاء في الشرفة المقابلة لشرفتها طالما بقي في بيته.

تقول زيزي أن محظوظ اسم على مُسَمى. حقق كل أحلامه. عمل بأكثر من مهنة في أثناء الدراسة، منها حارس على باب ملهى ليلي. لم يعِب أحد عليه ذلك حينها. مع أنهم جميعًا يعلمون ما يحرسه محظوظ بالداخل!

عَلَقَتْ ابتسامتها الساخرة: ولأنه محظوظ؛ وصفوه بالرجولة وانه عنده قدرة الاعتمادِ على النفس من صغره.

تخرج محظوظ منذ أعوام، ثَبَتَ قدميه في وظيفة مضمونة. تشكو والدته للجيران رفضه رغبتها في تزويجه رغم توفر إمكانيات الزواج كاملة. سألته إحدى الجارات المقربات إن كانت لديه حبيبة كأبناء جيله فلا مانع من عرضها على الست الوالدة ليرتاح قلبها. لكنه نفى تمامًا وجود تلك الصديقة. تناقلت سيدات الشارع استعداد محظوظ للزواج، وتتالت محاولات القنص، فشلت، وازدادت علامات الاستفهام. زيزي وحدها العالمة بسبب رفضه، وزيزي صامتة. في ذلك اليوم حين فتحت نافذتها ثُم عيونها عليه. ابتسمت له، ولأول مرة في حياتها. ابتسامة واسعة، أوسع من أي ابتسامة حلم بها محظوظ.

ثُم..

تزوجا.

تزوجا ولم تنته من دراستها في الكلية التي اختاروها لها، كانت فرصة للتخلص من مسئولية الفتاة الطموح. وتحميل أحلامها لرجل يشكمها. وفعلت زيزي، حدثته عن حُلمها.

سألها: حب في الشهرة؟

أجابت: حب في التمثيل

سألها: في المال؟

أجابت: أي مال، وإنت ملبي كل احتياجاتي!

_ عمليات تجميل وحفلات وسهرات؟

_لا يمكن أخالف أصول التربية أبدًا يامحظوظ. وانت عارف تربيتي.

_اخاف عليكِ.

_وانت جانبي؟

_ أفكر.

وافق محظوظ. تعيد المحاولة أمام الكاميرا لاستكشاف أسباب موافقته فتتكهن أنه ربما وافق حُبًا لها، أو رغبةً في إرضائها و خوفًا عليها لم يترك جوارها إلى أن التقط طرف الخيط. فجاءته الفرصة وطُلِب بدور صغير في غياب أحد الممثلين، فاتقن، ثُم دور أكبر، فأتقن. سَعِدَت زيزى لذلك. رأت أنه من الناحية الفنية يُثَبت أقدامها. ومن الناحية العاطفية يمزج بين روحيهما فيتوحدا.

ومتى دامت سعادة على الأرض! في إحدى المساءات كان محظوظ قد بدأهُ بالتخطيط لعملهما القادم معًا. زارهما والده وخالها، طلبوا منها الانفراد مع محظوظ فغادرت الغرفة طائعة.

بعد رحيلهم، وحين حاولت استئناف دراسة خطط عملهم المستقبلية فاجأها محظوظ: اخلعي فكرة التمثيل من تفكيرك تمامًا. الناس اكلت(وشي).

زيزى: إنت كُنت معيَّ. مع ذلك أثروا عليك؟ وانت! تقدرتخلع التمثيل من تفكيرك؟

سمعته يرد بلهجة صعيدى لم تسمعها منه من قبل: أخلعها كيييف؟ هو انا زيزى ولا ايبه؟

ابتسمت زيزى لعدسة الكاميرا : الخطأ خطأى. مثِلْت شجرة الدُر لكن ضيعت الدروس المستفادة من حياتها. عز الدين ايبك أو اقطاي ساندوها؟ وهو في رجل شرقي ممكن يساند مراته! إلا إذا.. استلمها ناجحة جاهزة وقتها تكون نيته تسانده هي.

نهضت أمام العدسة ورفعتها لتتابع وجهها اثناء النهوض، سبَبَ ذلِك خطوط سوداء طولية وعرضية. ثُم ظهر خلفها سقف الغرفة وقد ثُبِتت فيه حلقة معدنية تَدَلى منها حبلٌ معقودٌ فى استدارة.

زيزي: شُفت عيونكم جحظت فجأة!

التفتت بلا مبالاة خلفها: الحبل؟ المشنقة المشَنوق عليها روح زيزي بذراع مجتمع المحاظيظ. (ابتلعت عينها اليسرى دمعة وهي ترفع كتفيها مُتصنعة اللا مبالاة) مُجرد ديكور للذكرى. أما قراري فهو يخصني أنا. صدقتوا اني ممكن أقوله لكم! من فيكم أصلًا له حق الاطلاع عليه!

وانطفأت الكاميرا.

زيزى ٢٠١٧

يُفاجيء الأُم مشهد الابنه محنية الظهرِ المُنكبة بكليتها على مكتبها تراجع دروسها بعد يوم دراسي طويل. فتلطم صدرها: إنتِ قاعدة تذاكري؟

الفتاة: فزعتيني ياماما! كأنك مسكتيني بسيجارة!

_ طول عمرك خايبة يابنتي. وأنا اشتريت لك (الموبايل) زينة؟

- وال(musically application) [1] نزلته لك عياقة؟

_ ثواني أفهم.. كلامك جد ولا هزار؟ أنا عندي تل مذاكرة، والوقت المُخصص في جدولي للهزار صفر.

_ هزار! موبايل بكاميرتين أعلى ميجا بكسل، أغلى موديل. على شان تعملي أحلى فيديوهات وتبقى هوفر بورد وتسبقي ليزا ولينا*

_هوفر بورد!

_ يمكن تقليعة يسموهم على اسم السكوتر الكهربا.

تهمهم الفتاة بإنجليزية مُختارة تجهلها الأم، ثم تلتفت لوالدتها متسائلة: ماه! انتِ قابلتي طنط شيرين في النادي الصُبح؟

تبتسم الأم في انشراح: اه قابلتها. وقالت لي إن شكلك فوتو جينيك، ومناسب لدور في مسلسل من إخراجها في رمضان.

_ مسلسل! انتِ عارفة ان تفكيري بعيد تمامًا عن كل خططك وخطط طنط شيرين. ولو سمحتِ عندي مذاكرة.

---

musically*٣_تطبيق اليكتروني صيني يستخدم الفيديو والأغنية ليعيد الشباب تمثيلها بطريقتهم الخاصة. استخدم التطبيق في البداية توأم من الفتيات هما (ليزا ولينا) وشابان هما (لوكاس وماركوس) صنع منهم نجوم التطبيق ليجذب عدد متابعيهم عيون أقرانهم من نفسِ العُمر لنشر استخدام التطبيق. انطلق التطبيق عام ٢٠١٤ موفرًا الأغاني الإنجليزية فقط، ثم وفر النسخة العربية بعدها ليوسع دائرة الانتشار

_مذاكرة!

همت الفتاة بإضافة كلمة حين ناداها صوت ذكوري: يازيزي

أجابت الأم: حالًا يامحظوظ.

الصوت الذكوري: اتأخرتِ في تجهيز العشا.

اتجهت زيزي للمكتب وجمعت كل كتب، ودفاتر، وأوراق ابنتها في حقيبة ظهر. ثم وضعت مكانهم الهاتف الذكي.

_عندك المرايا والدولاب والموبايل. أروح أجهز العشا وأرجع ألاقيكِ مسجلة فيديوهات يمسحوا لينا وليزا بأستيكة. إقلبي بوزك! وانتِ تطولي؟

غادرت الأم ففتحت الفتاة التطبيق وبدأت تسجيل الفيديو بالإنجليزية: تحية لكل مُتابِع، أنا زيزي.. أحيا حياة قهرية لذلك أخذت قرار مهم وكان لازم أشاركه مع العالم كله...

فَكُ الذكريات

يتحرك فَكُ الطفلةِ صعودًا وهبوطا أثناء لَوكِ الطعام. حركةُ الفكِ توتر الأُمَ التي ترقبه بصمتٍ. صمتٌ من ذلك النوع الذي يحاول التشبث بأطراف صبرٍ فنى. تحاول صديقتها لفت انتباهها بحديث عن الزوج الخائن، وحبيبته المتصابية. ولكن جُلُ تركيز الأم على لُغد طفلتها الأخذ في الاكتناز. مشغولةٌ بالبحث في وسيلة تقي الابنة نارًا عرضُها المراهقة والشباب. وبينما فم الصديقة لا يتوقف عن الحديث

ينطلق فمُ الجدة في حِدة: يابُمبة قومي نظفي غرفتك عل ردفيك ينحُفان.

والابنةُ تلوكُ الطعامَ بتلذذ.

تفرد الصديقة ثلاثة من أصابع يدها، تهُزُهم وتحلفُ بالانتقام.

بينما تَوْرِكُ[1] الجدة وتشكو للجارة على مقربَةٍ من أُذُنِ الأم: يئستُ منها يأسَ الكفارِ من أهلِ القبور. من سيتزوج فتاةً كتلك؟ إلا جزاريأخذها بالميزان.

تقضم الطفلة قضمة كبيرة ناهمة. والصديقةُ تسألُ: كيف تعاملتِ مع خيانة زوجِكِ السابق؟

فيجيبها الزوج عبر الهاتف: لا تحاولي إقناعي أنك تفاجأتِ بالورقة المُرسَلَة عبر البريد. فقد قررتِ بنفسك خسارتي على خسارة بضعة كيلوجرامات

والفتاة تلوك أعصابَ والدتها في هدوء.

بعد وهلة أُعيد السؤال المُهمل : كيف تعاملتِ مع خيانة زوجك السابق؟ فأجابت الأُم: لا يهُمُني طالما أن ابنتي معي. وأستطيع قبولها.. كما هي.

_*اعتمدت بيدها على وركها [1]

التفتت الصديقة للطفلة الجالسة في رُكنِ الصالةِ المَعتِم، تعجبت: لما تطعمينها في الظلام؟ تجاهلت الأم السؤال على إعتبار أنه سؤالٌ فضولي.

أكملت الصديقة: مِثلُها لا يُطفَأ فوقها ضوءٌ. وجمالُها يزدادُ يومًا بعد يوم.

وجهت الأم نظرة حادة لعيني صديقتها جعلتها تراجع نفسها إن كانت أخطأت القول.

ثُم سألتها: أتقصدين وزنها؟

أكدت الصديقة: بل جمالها.

_أتستطيعين رؤيتها في الظل؟ أتلحظين شراهتها من هنا؟

الصديقة: الفتاة تأكل كمثيلاتها في العمر.

الأُم: لقد يئستُ منها يأس الكفار من أهل القبور.

ولم تُتَح الفُرصة لأي جُمل اعتراضية، إذ قامت الأُمُ من مكانها، تجر ردفيها السمينين خلفها متجهة صوب الابنة. نَزَعَتْ الطبق الصغير من أمام الطفلة، لتُطيحَ به بعيدًا عن متناول يدي فتاتها .. النحيفتين.

بالأمسِ تذكرت إيمان

تعرفتُ على إيمان أفغاني طالبة بالصف الأول الثانوي. لا يغرنك الاسم إذ تتعرف على هويتها المصرية الخالصة من النظرة الأولى لملامحها. وجهها المستدير القمحي المتشرب بحمرة، ما بذقنها من دِقة ونحافة يسيرة تُذكرك بذقن نفرتيتي. الابتسامة العالقة دائمًا بشفتيها الرقيقتين، والنابعة عن خفة ظل أصيلة بها. أما عيونها الضيقة اللامعة فقد اتسمتا بشقاوة ودهاء يقرأهما أساتذتها بالمدرسة ولا تقرأهما زميلاتها صغيرات السن حديثات الخبرة؛ فتقع منهن من تقع بفعل مكائدها.

تُفضل إيمان مصادقة نوعين من الفتيات.. المهذبات بشدة، والغنيات ذوات الحاشيات. وغالبًا ماتستخدم النوع الأول في جذب الثانى. والثانى لحمايتها من النوع الأول إذا ما تفتحت أعينهن أو رغبن في الانتقام.

كما تستغل طبائع المراهقة ككهل خبِرها من قبل. تَفَتُحُ النفسِ للحياة مع بداية هذه السن، اغتراف مرحِ اللحظة بنهم الغِر الحديث. نهم تذوق شتى أنواع الطعام. القضمة بملء الفيه، اللَّين منه واليابس وحتى منتهي الصلاحية. ثم نهم المعرفة و تتشكل حسب بيئة المراهق وتوجيه محيطه. فإما أن تقوده للقراءة والاطلاع فيرتقى ويُزهر بُرعمُ عقله. وإما أن تقوده الرغبة في المعرفة لأسافل السُبُل فينجرف وينحرف، لينهى مستقبله باكرًا. وقد أجادت إيمان الإمساك بمغناطيس فضول المعرفة لجمع دوائر الفتيات حولها. يبدأ الحديث بنميمة عن فعلة صغيرة لا تلاحظها أحَّدُ الطالباتِ نظرًا، لكن إيمان تخلق منها قصة وحدوتة شقية فتلتف حولها الفتيات يتسمعن، يتضاحكن وتنتهى غالبًا تلك الجلسة بكُنية جديدة تضاف لقائمة الكُنى التى ذَيَّلت بها إيمان أسماء معظم زميلاتها القليلات الحيلة.

إن كان لدى أحدكم تساؤل لما لاتغضبن أو ترفضن؟ فإجابتهن صريحة وواضحة تتشكل بين سببين أو ثلاث.. إما لضعفهن أمام بطانة كبطانة إيمان. أو لأن بعضهن تظن أن رفضها وغضبها ربما يجعل الطالبات تشك أن الكنية تلمس عيب حقيقي في نفسها فيصيبها ما أصاب(لِس شحيبر). وشحيبر_ إسمها في البطاقة المدرسية "ولاء" فتاة قوية البنيان ولكنها مستوية الصدرو الظهر. يظن من يتعرفها لأول مرة أنها فتى لا فتاة خصوصًا مع شعرها القصير الملموم دومًا كذيل الأرنب وملامحها الحادة الصارمة. وبعدما اعترضت شحيبر على كُنيتها ومدت يدها القوية لتُهذِب بها إيمان.. قررت إيمان في إحدى جلساتها إشاعة أمر بالمدرسة. شحيبر لاتستطيع مصاحبة الفتيان، فحاولت مصادقة إيمان وحين رفضت إيمان ذات القلب الطاهر، والخُلُق السوي لم تستطع شحيبر مقاومة الهرمونات الذكورية القاسية السارية بجسدها فلكمت إيمان تلك اللكمة الشهيرة. ولما اجتمعت الطالبات للوم ولاء تحججت أمامهن برفضها الكنية المنسوبة إليها. من يومها والتصق بها الاسم مع إضافة (لِس) في الدوائر الضيقة و(مِس) كلما اتسعت الدائرة. سرى القانون دون نص بين الطالبات وبالقساوة قوانينهن رغم انعدام نصوصها.. من ترفض الكنية فهي تمس عيب مخفي في نفسها. لذا تجد القصيرة السمينة ذات الرأس الكبير المسماة (براغي)[1] تحرم نفسها من الاستمتاع بمصروفها اليومي بين صديقاتها من أجل الادخار لإجراء عملية إطالة قامة خلال أربع سنوات، ثم تضحك بينهن وتقبل كنيتها متى خرجت من فم إيمان. والسمراء العجفاء المسماة (أبنوس) تسمع همسة إيمان الساخرة من ارتدائها حمالة صدر يضيق بها قفصها الصدري بلا داعى فتتصنع

٥_ البراغي: هي المسامير الحلزونية القصيرة مستوية الطرف السُفلي(ألاووظ)

الصمم، ثم تنام ليلها تبكي ببراءة حسرةً على أنوثتها المتأخرة. وقد تقبل إحداهن اللقب بمرح حقيقي دون أى ألام نفسية باتساق وتصالح تام مع نفسها كهناء سعد الله. الشهيرة بهناء عفنة

إسم مقزز رُسِم بدقة لإبعاد الفتيات عنها. وكانت جهود إيمان مضنية من أجل ذلك، فقدرة هناء على تحمل السخرية خرافية بالنسبة لإيمان. تعالوا أريكم هناء أولا. فتاة متوسطة الطول تميل للنحافة كأكثر فتيات تلك المرحلة، محجبة منذ عامين بيضاء بمسحة صفراء، فكها العلوي متقدم عن السفلي بشدة فكانت كنيتها الأولى التي لم تتأثر بها رغم سخافتها هى فك الجمل، وقد سرى الاسم بسرعة أول مرة في حصة اللغة العربية أثناء وصف سفينة الصحراء ومع تصدُر الدرس صورة واضحة لوجه الجمل بفكه العريض وبعض الزبد قد تراكم على شدقيه. لم يتأثر تفوق هناء بفعل إيمان، فظنت الطالبات أنها تحافظ على التفوق لتحفظ ثقتها بنفسها، وبالغرابة ذلك في سن تنشغل فيه عامة الفتيات بمظهرهن قبل كل شئ. ليست ثقة هناء بنفسها وقدرتها على تحمل سخافات إيمان رغم مظهرها؛ هي الصفة المستعجبة الوحيدة وإنما هواياتها أيضًا. عشق استخدام العدسة للتعرف على كل شئ حتى الجرح المُتقيح بيد زميلتها رنا! حيوانها الأليف الذي ملأت أذانهن بالحديث عنه دون ذكر فصيلته بل جعلتها مفاجأة لمن تزورها. وحين دعتهن لتناول الغذاء فى بيتها إكتشفن أن حيوانها الأليف الذى اطلقت عليه اسم (نوفى) هو.. قنفذ! إلى جوارذلك اكتشفن بيت دافئ وأسرة مترابطة. الأب أستاذ في كلية العلوم، الأم موظفة بهيئة خاصة أيضا بالبحث العلمى. والأخت الصغرى المحدبة الظهر إثر طول الانحناء على المكتب لطيفة، تحب الدعابة، تقبلها وتردها بعكس هناء التي تقبلها، تضحك من قلبها ثم تصمت.

اقترحت والدة هناء على الصديقات مجموعة رحلات علمية وترفيهية تستطيع توفير تخفيض لهم من خلال(كارنيه) النقابة الخاص بها فرحن بالجزء الترفيهي وأغفلن الجزء العلمي، ولكن العرض كان كباقة كاملة إما أن يقبلوها معًا أو يرفضونها معًا. فقبلن بالإتفاق.

تم تنظيم الرحلة على يومين فخصصوا لها إجازة نهاية الأسبوع.

غابت إيمان عن الرحلة، ويوم الخميس السابق عليها. ثُم تلى ذلك غياب ليومين أخرين. هُنا وضعت هناء علامة تعجب جديدة على رؤوس زميلاتها حين اقترحت عليهن زيارة إيمان للإطمئنان عليها. كيف تسعى لزيارة من تتفنن في اتخاذها هزؤًا! انفضوا إلا قليلًا من تلكن المرفهات اللواتى لم يصيبهن شيئًا من همزِها. سألت إن كانت إحداهن لديها رقم هاتف منزلها، لم يفيدنها. فاتجهت هناء لشئون الطلبة بالمدرسة[1]

وهناك تفاجأت بمقر سكن إيمان بحي فقير جدًا. تعلم تاثير ذلك على مجموعتها من المرفهات. فكرت في لحظتها وقررت العدول عن فكرة الزيارة. شكرت المسئولة واستدارات لتصطدم بوجه شحيبر التي ابتسمت بنصر ووجهت زميلتها" نسيتِ تكتبي العنوان" حاولت هناء مماطلتها دون فائدة. فرافقتها بعد المدرسة للزيارة. لم تكن المفاجأة الأولى في مكتب شئون الطلبة. بعد الوصول للعنوان المُثبت بالمدرسة اتضح أنه غير صحيح ودَلَّهما القاطن به والذى يشبه إيمان إلى حد كبير؛ أن عليهما من أجل الوصول لبيت إيمان الخوض في شوارع ضيقة وأزقة لم يسبق لهما خوض مثلها قبلًا. استوقفت هناء شحيبر المتحمسة للزيارة: لا يمكن اتحرك مترزيادة ياولاء.

_كان ذلك في فترة التسعينات قبل ظهور الهواتف النقالة ١

شحيبر: ولاء! انا لِس(اتكأت على حروفها) شحيبر. ويا تكوني صحبة طيبة وتكملي المشوار، يا الصبح كل المدرسة تسمع حكايتك مع (اللِس) فى الحارة الضيقة.

جحظت عينا هناء حتى كادتا تخرجا من محجريهما. وفي محاولة للتعامُل مع الموقف بطريقة علمية كما علمها والداها قالت: يا ولاء المكان شكله خطر. اعقلها، ينفع ندخل كبنات غريبة هنا؟

ولاء: بنت و شاب. ماحدش واخد باله اني بنت وانا لابسة بنطلون.

اعتراف ولاء بمظهرها الذكورى دون عنف أو لكمات صدم هناء وشتتها. فتحركت إلى جوار صديقتها محتمية بها.

أثناء الطريق قالت شحيبر بحماس وثقة: بعدين تشكريني إنى اصريت تكملي المشوار.

لم تحاول هناء البحث في معنى جملة زميلتها، إذ كانت تحاول إخفاء التعجب على وجهها من غرابة المكان وضيقه. من إقتراب المباني في مواجهة بعضها لدرجة هيأت لها أن البيت ينوى ان يُسر بكلمة للبيت المقابل له. اضطُرتا للسيرِ بجانبهما ليسلكا بعض الطرق دون خوض برك مياه الغسيل. تناولت عينيها قِصَر المبانى وغرابة بنائها، السلالم الواضحة كأنهم نسوا استكمال الحوائط، الطوب الأحمر والأسمنت، روائح مياه الصرف المختلطة بالأطعمة المطبوخة، الظلام المخيف الذي جعل هناء تتشبث بصديقتها الضخمة كطفل صغير. ولكنها رأت في الوجوه حينها طيبة ومتعاونة رغم فقرها وضيق معيشتها. بعد سؤال بعض المارة وطَرْق بابين.. وصلا. أكدت لهما ذلك الجارة المتعلقة بسور سطح أحد البيوت القصيرة مُشيرة للبيت المجاور على أنه بيت إيمان أفغانى فك الله أسر أبيها.

لم يفت ذلك شحيبر فتساءلت: ماله أبوها ياطنط؟

فلتت الكلمة الأخيرة من فمها ولكنها استدركت: خير ياست.

ضحكت الست من فعل الفتاة الطفولي وأجابتها: في السجن من مدة؟ _مسجون؟

ثم نادت بصوت ممطوط: يا إيمان.. يا إيمان.

لاحظت هناء شبح يتحرك خلف الشباك الموارب. ومع ذلك قالت: يظهر خرجوا.

توارى الشبح خلف الجدار حين قالت الجارة: لا موجودين. أنا متأكدة. إنتم أكيد زمايلها فى المدرسة.

وأصرت فنادت بنفس الصوتِ الممطوط: يا إيمان.. يا إيمان.

كانت هناء في ذهول، كفتاة نشأت ضمن عائلة متوسطة متعلمة على قدر من الثقافة شَكَّل لها المشوار من أوله صدمة، وتأكدت أنها لن تنساه أبدًا. أفاقت من ذهولها لتشكر المرأة المُصِرَة ثم سحبت شحيبر من يدها لتحثها على الذهاب. وحين وجدت منها مقاومة نهرتها: كفاية. يالله.

طاوعتها أخيرًا، سارتا في طريق العودة صامتتين لفترة غير قصيرة. تعجبت هناء من صمت شحيبر. توقعت أن ترى في عينيها سعادة الشماتة أو لمعة الانتصار لكنها كانت شاحبة أيضًا.

هناء: حاسة بندم؟

شحيبر: لأ. يمكن شفقة. إنما من عملها.

هناء: إيمان غاوية هزار ياولاء.

ولاء: هزار! انتِ مستوردة البرود من الإسكيمو؟ حتى لو هزار بالنسبة لك، ترويجها السمعة القذرة عني كانت هزار؟

صمتت هناء لوهلة ثم حذرت صديقتها: كأننا لاشفنا ولاوصلنا.

ولاء مبتسمة: أفكر.

هناء: انا عارفة إن والدك أحيانًا يتطوع ويؤم المصلين في الزاوية. إساليه قبل أي تصرف. إنتِ بنت ناس، ولاد الناس عمرهم ما يعايروا غيرهم بظروفه.

كانتا قد وصلتا للشارع الرئيسي فتوقفت هناء وقالت: حَكّمي ضميرك. إنتِ أجدع.

ثم ودعتها وذهبت. وطوال أسبوع غابت خلاله إيمان، لم تغب عن بال هناء بل راحت تستعيد تفاصيل صغيرة لم تكن تلحظها من قبل، طريقة حديثها، نظراتها المتفحصة السريعة التي تتناول بها الزميلات كل مرة تقابل إحداهن بحثًا عن عيب. لمعة عيونها متى وجدته وضحكتها المميزة المغتبطة متى نشرته. مع غياب إيمان هدأت قليلًا ضجة الفتيات في الفصل، ولم تهدأ نفس هناء المهذبة قلقًا وترقبًا لما قد يحدث بعد حين.

وعادت إيمان.. بوجه جديد.. سقطت الابتسامة التي تعلقت سنوات على شفتيها، وانطفأت لمعة الشقاوة في عينيها. وفي الفسحة لم تلتقط إحداهن لتسخر منها بل أثرت الجلوس بعيدًا. وحين سألوها عن سبب تغيبها نظرت في عيني شحيبر، لم تدرِ لما وهي التي قررت أنها لن تفعلها ولكنها فعلت. فرأت نظرة مُحذِرة ومُخبِرة ومُنذِرة وشبح ابتسامة لم يلحظه إلا هي وهناء. فأجابت: نزلة شعبية.

قالت إحداهن: ابقي عرفينا رقم تليفونك، نزورك ونتطمن عليكِ لما تغيبي.

إيمان وقد ارتد بصرها لشحيبرمن جديد: أنا كنت في المستشفى.

بعد أيام عاد لإيمان شيء من روحها فكانت تضحك أحيانا ويزل لسانها فتنادي صديقاتها بكنياتهن المعهودة فيضحكن كما تعودن. لكنها تعودت

وبطريقة لا إرادية أن يرتد بصرها في كل مرة بحثًا عن شحيبر. فإذا ما وُجِدَت ورأت في عيونها استنكارقالت: ماهي راضية وبتضحك أهو.

لم يفهم أحد حقيقة مايحدث وإن تساءلن. فقد حفظت ولاء لسانها واكتفت بالتهديد البصري. كما لم تفهمن لِما توقفت إيمان عن السخرية من هناء؟ ولما سحبت عن شحيبر شهرتها وصارت تناديها ولاء؟ سَرَت إشاعات وهمهمات. ثم نسين كما نسين كنية ولاء بعد فترة من توقف إيمان عن مناداتها بها؟

وذات يوم مرت هناء إلى جوارولاء ثم عادت لها بعد تردد وقالت: شكرًا يا ولاء.

أجابتها ولاء بابتسام: العفو. فاكرة لما قلتِ لي إسألي بابا.

هناء: طبعًا.

ولاء: بابا قالي

بسم الله الرحمن الرحيم

(لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض.)

_ صدق الله العظيم.

هزت هناء رأسها، فوضعت ولاء ذراعها على كتف زميلتها وقالت: عارفة.. براغي صعبانة علي جدًا. تصوري حارمة نفسها من مصروفها على شان تعمل عملية تطويل لرجلها! ثم غمزت وأكملت: بأفكر أخدها رحلة تخفف بِها عن نفسها.

هل أنت موجود!
رؤية فلسفية

على أرض غير صلبة وبين جدارات غازية متعددة . بعد تعدي الشمس عدة خطوط بعد أول شروق. كان حضور شريكَّي الوجود وتبادلهما حديث قصير.

هي: لما لا تكف عن الفلسفة؛ علها تنفرج ونرى مصيرنا؟

هو: وما الفلسفة في سؤالي (هل نحن موجودان أم متواجدان)؟ إنه سؤال لغوي بحت خال من أي فلسفة.

هي: نحن هنا بإرادة الواجد. فما الفارق؟

هو: الفارق كبير، فالوجود يعنى الحضور. أما التواجد فيأتى من الوجدان وهو شدة الحب، ولكننا نُصِر على استخدام الكلمتين في نفس الموضع.

هي: مادمت تعرف الإجابة، ففيما طرح السؤال؟

هو: إنه الشك أو الرغبة في التيقن. لما لاتستخدمي عقلك الأنثوى المستريح لتؤكدي لي وجودنا؟

هي: ولما تلح علي أنت لاستخدام عقلي في الفلسفة مادمت تعلم أنه أُنثوي مُستريح؟ أنا إمرأة وأهم اسلحة المرأة استخدامها اللوذعي لجمالها لا عقلها.

هو: حين وصفت عقلك بالانثوى كنت أعنيها. فأهمُ أسلحة المرأة الدهاء والدهاء يلزمه إستخدامً لوذعيًا للعقلِ لا الجمال. كم داهية من النساء لا يتمتعن بأى جمال ولكنهن ملكن قلوب، وخربن بيوت، وأسقطن عروش.

هي: (في نفاد صبر) وماالذى تريده مني الأن؟

هو: أريد أن أتأكد من وجودي.

هي: إن أنت صمَّتُ فأنت غير موجود.

(لحظة تفكير)

هو: رغم إدراكي لِما خلف جملتِك من حث على الصمت، إلا أنك محقة. الصامت دومًا غير منظور، لكأننا نرى بأذاننا. فالناسُ لا تلتفتُ إلا للصاخب، والثرثار، ومُحبي الظهور. نعم نرى بأذاننا. صدقتِ.

هي: بل العين سباقة.

هو: ماذا؟

هي: فإن أنا أشرتُ لك بفعلٍ ثم قلت عكسه تستجيب لما رأيته من حركة يدي لا ما سمعته أذنيك.

هو: لما إذن نلتفت للمتحدثين بكثرة؟

هي: لأنهم يحركون حواس إضافية. فيثبتون وجودهم.

هو: للعقل يد إذن.

هى: (تتنهد) للقلب اليد العليا.

هو: عُدنا للأحاديث النسوية.

هي: (في غيظ) يا رجُل يا مُفكِر إن القلب يقرأ وجه ولغة جسد المتحدث وبالخبرة المتراكمة يترجمهما فيحدث الاتحاد أو التنافر

هو: العقل هو القارئ والمحلل والمرسل بإشارات الاتحاد أو التنافر للقلب. ولكن لأنك إمرأة ترين بقلبك.

هي: أحادثَك كإنسان فاحترم ذلك وإلا صمتُ وفقدت وجودي.

هو: لا، أرجوكِ فلا شريك لي في الوجود غيرك وقد لا أحتمل غيابك.

هي: وربما لا أحتمل غيابك أيضًا. وفي ذلك إجابة على سؤالك الأول. فمادام لنا غياب، فلابد أن لنا وجود. والامور لا تتأكد إلا بأضدادها.

هو: وبإدراكي لكِ بالحواس الموهوبة وإدراكك لي فنحن موجودان.

هي متقربة ومتشبثة بذراعه في مودة: ومتواجدان.

يسكُن بين ذراعيها لحظة ثم يهبُ منتفضًا: ولكن...

تبتعد في سقم: ماذا أيضًا؟

هو: ما الذي يؤكد وجود الوجود الذي نحن موجودان فيه؟

(تنظر في استفهام وغيظ)

هو: أستطيع إدراكك بحواسي وتدركيني بالمثل. ولكن إدراكنا لا يصل للحدود الواسعة للوجود الذي يحتوينا. إذن فهو غير موجود. وإن كنا جزءًا من هذا الوجود الغير مُدرك بالحواس، إذن فنحن غير موجودين بالتبعية.

تشرد مفكرة ثم تقول: لِمَ تسألني أنا بالذات؟

هو: لأنك أم . والأمهات دومًا يملكن الإجابات.

هي: لكنك لست طفل.

هو: أنا طفلٌ لآمٍ غير موجودة الآن.. ذلك في حال وُجِدَت من قبل. يتأكد ذلك بتأكيد وجودى.

هي: إذن فلتستمع لحكمة الأم وتتوقف عن الهراء.

هو: أتوقف حين يتوقف عقلي عن الإدراك. فيتأكد أنه غير موجود.

هي: إتفقنا. إن كنت غير موجود، فلما فكرك موجود؟ فالفكر لا يظهر لنفسه إلا من خلال نتاجاته، أعني أننا لاندرك الفكر إلا بوصفه معنى الأفكار المجهولة. والمفكر وهو يبحث عن الفكرة ينبغى عليه أن يسأل العلوم المشيدة ليستخلصها منه. وعلى العكس أدركنا كائنا ند وهو يشيدها، وفكرًا لا يتجلى على أنه معنى للأفكار المعبر عنها ولكنه رغم ذلك يُدرَك مباشرة دون فكر. وهذا الضرب من الإدراك ليس ظاهرة إدراك أو ظاهرة معرفة بل هو تركيب الوجود[1]

---

[1] _الوجودوالعدم لـ (جان بول سارتر)

(صمت وتبادل نظر)

تبتسم وتسأله: ماذا بك؟

هو: لم أُدرِك شيئًا مما أدركتيه؟

تبتعد فى دلال منتصر: إذن فأنا موجودة وأنت غير موجود.

تمت

الفهرس

١_ مصافحة الجدران (قصة طويلة من خمسة فصول)	١٣
٢_ لوحٌ فخارى(قصة من فصلين)	٤٣
٣_ ظلال كهف أفلاطون(قصة من فصلين)	٥٣
٤_ صيدلي من الباطن	٦١
٥_محظوظ اتجوز زيزى(قصيرة)	٧٧
٦_ زيزى ٢٠١٧ (قصيرة)	٨٣
٧_ فَكُ الذكريات (قصيرة)	٨٥
٨_ بالأمس تذكرت إيمان_ مراهقة من التسعينات(قصيرة)	٨٧
٩_ هل أنت موجود(رؤية فلسفية)	٩٥

رسالتنا:

نشر كل إنتاج إبداعي ذي جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017